رؤية سيد قطب للجهاد وأثرها على خوارج العصر

إعداد

أ / بدر رجب السيد
باحث دكتوراه بقسم الفلسفة
كلية الآداب –جامعة المنوفية

د / ياسر محمود البتانوني
أستاذ الفلسفة الإسلامية المساعد
كلية الآداب–جامعة المنوفية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل رؤية سيد قطب (١٩٠٦-١٩٦٦) للجهاد وأثرها على خوارج العصر من الجماعات الدينية المتطرفة التي تأثرت بكتاباته وتنظيراته الفكرية وخاصة في كتابه الشهير "معالم في الطريق".

ويتألف هذا البحث من ثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: "مفهوم الجهاد وحكمه ومراتبه وأنواعه وشروطه"، وفيه أعطينا نبذة عن حياة سيد قطب ومؤلفاته وتحولاته الفكرية وأثر المودودي عليه، ثم تحدثنا عن مفهوم الجهاد لغةً واصطلاحًا وحكمه وشروطه والحكمة من مشروعيته، والفرق بينه وبين الإرهاب والإرجاف والحرابة والبغي، وأكدنا على أن أمر الجهاد موكول لولي الأمر واجتهاده وتحت إمرته.

أما المبحث الثاني: "رؤية قطب الشمولية للجهاد"، وقد خصصناه للحديث عن رؤية قطب الشمولية للجهاد، وموقع الشعائر الدينية من الإسلام عنده، ومراحل الجهاد من منظوره، ودعوته للثورة والانقلاب، ورؤيته العالمية للجهاد وتبعاتها، وأن هذه الرؤية جاء من خلال فهمه لقضية الحاكمية التي قادته إلى الثورة الشاملة على حاكمية البشر.

وأما المبحث الثالث: "تطور فكر قطب الجهادي من التنظير إلى التطبيق"، وفيه تناولنا تطور فكر قطب الجهادي من التنظير إلى التطبيق، وتأسيسه ما أسماه بالعصبة المؤمنة أو الطليعة الإسلامية، التي انطلق بها من التنظير إلى الواقع من خلال تنظيم ١٩٦٥ الذي زرع قطب في أفراده مبادئ التكفير والحكم بجاهلية المجتمع وما ترتب على ذلك من تكفير النظام السياسي وقادته، ثم تعرضنا لأثره على خوارج العصر من الجماعات الدينية المتطرفة التي تأثرت بفكره ورؤيته للجهاد.

وأخيرا تأتي الخاتمة: وقد ضمناها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

الكلمات الافتتاحية:

(رؤية ؛ سيد قطب ؛ الجهاد ؛ خوارج العصر)

Sayyid Qutb's Vision of Jihad and Its Impact on the Kharijites of the Era

Research Summary

This research examines and analyzes Sayyid Qutb's (1906–1966) vision of jihad and its impact on the contemporary Kharijite groups—extremist religious factions influenced by his writings and ideological theories, particularly in his famous book Milestones.

The research consists of three sections and a conclusion as follows:

Section One: "The Concept, Rulings, Levels, Types, and Conditions of Jihad" This section provides a brief overview of Sayyid Qutb's life, his works, his intellectual transformations, and the influence of Abul A'la Maududi on him. It then discusses the linguistic and terminological definitions of jihad, its rulings, conditions, and the wisdom behind its legislation. It also differentiates between jihad and other concepts such as terrorism, intimidation (irjaf), banditry (hirabah), and rebellion (baghy). The section emphasizes that jihad is the prerogative of the ruler, subject to his judgment and command.

Section Two: "Qutb's Comprehensive Vision of Jihad" This section focuses on Qutb's holistic view of jihad, the role of religious rituals in Islam according to him, and the stages of jihad from his perspective. It also discusses his call for revolution and upheaval, his global outlook on jihad and its consequences, and how his understanding of hakimiyyah (divine sovereignty) led him to advocate for a total revolution against human governance.

Section Three: "The Evolution of Qutb's Jihadist Thought from Theory to Practice" This section explores the transformation of Qutb's jihadist ideology from theoretical discourse to practical application. It examines his establishment of what he termed the "believing vanguard" or "Islamic avant-garde," which transitioned from theoretical conceptualization to real-world action, particularly through the 1965 organization. In this organization, Qutb instilled the principles of takfir (excommunication) and the judgment of society as being in a state of ignorance (jahiliyyah), which consequently led to the excommunication of the political system and its leaders. The section also addresses his influence on modern extremist groups that have embraced his vision of jihad.

Conclusion: This final section summarizes the key findings derived from this research.

Keywords:

(Vision; Sayyid Qutb; Jihad; Kharijites of the Era)

رؤية سيد قطب للجهاد وأثرها على خوارج العصر

مقدمة:

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، خالق الكون سبحانه في إتقان وإحكام، المتفضل على خلقه بالجود والإنعام، شرع لنا دين الإسلام، وبعث لنا خاتم رسله، نبيه محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين..... أما بعد.

لا شك أن من أكثر المفاهيم الدينية التي يثار حول حقيقتها وغاياتها وتطبيقاتها -خاصة المعاصرة-لغط كثير هو مفهوم الجهاد؛ فهو الأصل الذي يتفرع عنه كثير من القضايا والمسائل الشائكة في الفكر الإسلامي، وذلك لأسباب كثيرة منها منزلته العظيمة في التشريع الإسلامي، ومن ناحية أخرى تعظيم الإسلام لعصمة الدماء فلا تهدر إلا بقيود وضوابط مقدرة ومعلومة. وقد اكتسب مفهوم الجهاد حاليًا معنىً يدور حول العنف المسلّح، ويُمارَس باسم المبادئ الإسلاميّة، على الرغم من أن هناك معاني أخرى له ذات صلة بمجاهدة هوى النّفس وغيره.

ولو تصفحنا ورجعنا إلى سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم-وأقواله وأفعاله وتقريراته، وإلى سيرة صحابته الكرام وغزواتهم؛ سيتبين أن الذين يعزفون على وتر الجهاد في هذه الأيام هم في واد، والجهاد الذي كان عليه نبينا وصحابته الكرام في واد آخر، وأن أغلب الذين يخوضون في هذا الجانب لا يعتمدون منهجًا صحيحًا وفهمًا سديدًا على النصوص الشرعية التي جاءت في هذا الباب، وإنما يعتمدون في فهمهم على معلومات هامشية وقراءات غير منضبطة لرموزهم؛ لأن الجهاد شيء مأمور به، بينما الإرهاب من فعل الخوارج قديما وحديثا.

فمن خلال ماطرحه أبو الأعلى المودودي، وحسن البنا، وسيد قطب، في هذا الباب -الجهاد-نجد أن الجماعات المتطرفة من خوارج العصر ينطلقون مما سطره هؤلاء، وخاصة سيد قطب لما له من منزلة كبيرة عند هذه التنظيمات الدموية التي تفسد في الأرض من خلال إرهاب الناس واستحلال دمائهم وأعراضهم تحت شعار الجهاد؛ فجعلوا من كتابات وأفكار هؤلاء -وخاصة قطب- مصدرا لهم يستقون منه أفكارهم في قضيتي الحاكمية والجهاد.

ومن ثم جاء موضوع هذا البحث الذي هدفنا من ورائه بيان رؤية سيد قطب للجهاد، وأثر هذه الرؤية في فكر خوارج العصر؛ الذين وقعوا في براثن الفكر القطبي وانخدعوا به فكانوا وبالًا على الأمة الإسلامية والعربية.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التحليلي، والمنهج النقدي، والمنهج المقارن؛ إذ اقتضت طبيعة البحث ذلك؛ إذ إننا سنقوم بتحليل آراء سيد قطب، وأفكاره الخاصة بالجهاد، وتتبعها من خلال النصوص التي وردت في مؤلفاته المختلفة، كما

أننا سنقوم بنقد بعض هذه الآراء له، كلما اقتضت الضرورة ذلك، وكذلك سنقوم بمقارنة هذه الآراء له بغيرها من آراء من سبقوه.

ويتألف هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة كالتالي: -

المبحث الأول: مفهوم الجهاد وحكمه ومراتبه وأنواعه وشروطه.

المبحث الثاني: رؤية قطب الشمولية للجهاد وأثر المودودي عليه.

المبحث الثالث: تطور فكر قطب الجهادي من التنظير إلى التطبيق.

وأخيرا: تأتي الخاتمة وقد ضمناها أهم النتائج التي توصلنا إليها من البحث.

وإنا لنرجو من الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

مفهوم الجهاد وحكمه ومراتبه وأنواعه وشروطه

أولًا/ نُبذة عن سيد قطب:

١ـ المولد والنشأة:

هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، وُلد عام ١٩٠٦ بقرية موشا في محافظة أسيوط بصعيد مصر في ذات العام الذي وُلد فيه حسن البنا لكنهما لم يلتقيا خلال حياتهما، وعاش قطب نحو أربعة عشر سنة في القرية التي كان والده أحد وجهائها، وتأثر باعتناق والده لأفكار الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل، وقد جعل والده من منزله مقرا لاطلاع أهل القرية على جريدة اللواء التي يصدرها الحزب، ومن ثم انخرط والده في ثورة ١٩١٩ التي امتدت أحداثها إلى أسيوط، وبذلك نشأ قطب في بيئة مسيسة تهتم بالشأن العام وتطوراته وتسعى للانخراط فيه.

وقد بدأ حياته أديبا روائيا مال إلى تبني المناهج الاشتراكية ومنها ما كتبه في مراحله الأولى مثل كُتب وشخصيات، ولمع نجمه في الأدب بعد كتاباته الأدبية والشعرية المتنوعة، ألَّف ٢٤ كتابًا، وما لا يقلُّ عن ٥٨١ مقالة، معظم ملاحظاته وانتقاداته كانت موجَّهة إلى العالم الإسلامي، ودعا إلى الانقلابات والثورات تحت مسمى الجهاد، يرى العديد من المفكرين أنَّه مصدر إلهام للجماعات التكفيرية العنيفة مثل تنظيم القاعدة وتنظيم داعش، من خلال أفكاره حول الجاهلية والحاكمية. ويُعتبر كتاب معالم في الطريق واحدًا من أهمّ الكتب التي تستقي الجماعات التكفيرية المتطرّفة الآراء والأفكار منها، فهذا الكتاب يُعدّ بمثابة الدليل الفكري والمرجع التنظيري الأوَّل لتلك الجماعات، لما فيه من أفكار مؤسّسة لا غنى عنها في مسار الفكر التكفيري، وأُعدم في ٢٩ أغسطس ١٩٦٦ بتهمة تأسيس تنظيم سري مسلح لحزب الإخوان المسلمين المنحل ومحاولة قلب نظام الحكم بالقوة[١].

ومن أشهر مؤلفات قطب عن الإسلام والتي تمثل ما انتهت إليه أفكاره، الآتي:

- التصوير الفني في القرآن: كتبه عام ١٩٤٥م، دراسة في بلاغية للقرآن، وهو أول كتبه الإسلامية، يتحدث فيه عن الجانب البلاغي في القرآن وما يُسميه منبع السحر في القرآن"

(١) للمزيد عن سيرة سيد قطب يراجع، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار القلم، سوريا، ط٥، ٢٠١٠م، ص ٥٧. وكذلك، مجدي عبد المعطي، من أعدم سيد قطب؟ ولماذا؟، دار الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ص٥. وكذلك أيضًا محمد شحرور، الدين والسلطة -قراءة سماسرة الحاكمية، بيروت، لبنان، دار الساقي، ط٢، ٢٠١٥م، ص٥٧.

- مشاهد القيامة في القرآن: كتبه عام ١٩٤٧م، دراسة بلاغية للقرآن، يستعرض مشاهد القيامة في معظم سور القرآن، مستخدمًا فيها طريقة التصوير في التعبير، وإبراز الناحية الفنية والبلاغية، دون التطرق لمباحث لغوية ودينية.
- العدالة الاجتماعية في الإسلام: كتبه عام ١٩٤٩م، قبل سفره إلى أمريكا، وهو أول كتبه الفكرية الإسلامية، طُبع عدة مرات في حياته، آخرها سنة ١٩٦٤، وقد قام بالحذف والإضافة على الطبعة الأخيرة حسب آخر أفكاره، وأضاف إليه فصل التصور الإسلامي والثقافة، وهو أحد فصول معالم في الطريق.
- معركة الإسلام والرأسمالية: كتبه عام ١٩٥١م بعد عودته من أمريكا، فبعد مهاجمته في كتابه السابق للفكر الشيوعي، هاجم في هذا الكتاب الفكر الرأسمالي.
- السلام العالمي والإسلام: كتبه عام ١٩٥١م، تحدث فيه عن صراع القوى العظمى بعد الحرب العالمية الثانية، ودور الإسلام في ذلك.
- في ظلال القرآن: كتبه عام١٩٥٢م وأعاد طبعه عام١٩٦٥م، وهو من أخطر كتبه حيث احتوى على سائر شطحاته الفكرية وخاصة فيما يتعلق بقضايا الحاكمية والتكفير والجهاد، وكانت بداية هذا الكتاب سلسلة في مجلة المسلمون، وبعد الحلقة السابعة من السلسلة أعلن إيقافها، وأنها سوف تصدر في كتاب مستقل، نُشر الجزء الأول في أكتوبر ١٩٥٢، وظل ينشر جزءًا شهريًّا حتى يناير ١٩٥٤ كان قد صدر ١٦ جزءًا، ثم اعتُقل، وأصدر باقي الأجزاء في فترات اعتقاله، ثم أعاد نسخة مُنقحة من الكتاب وأعاد كتابة بعض الأجزاء في فتراته الأخيرة ونشر مرة أخرى عام ١٩٦٥م.
- هذا الدين: كتبه عام١٩٥٤م، بعد خروجه من الاعتقال الأول، يتحدث فيه عن خصائص الدين الإسلامي، ويعد الكتاب تحولًا في أسلوبه وفكره.
- المستقبل لهذا الدين: كتبه عام ١٩٥٦م ويُعد استكمالا لكتابه السابق هذا الدين.
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته: كتبه عام١٩٦٠م تحدث فيه عن العقيدة الإسلامية وخصائصها، بدأ تأليفه في ١٩٥١ وانتهى منه في ١٩٦٠.
- الإسلام ومشكلات الحضارة: كتبه عام ١٩٦١م يتحدث فيه عن مشاكل الحضارة الغربية المادية من وجهة نظره، وأن الإسلام هو العلاج لهذه المشاكل.
- معالم في الطريق: كتبه عام١٩٦٤م، وهو آخر مؤلفاته، وأكثرها ضجة وتأثيرًا في الحركات والتنظيمات الإسلامية المتطرفة، منه أربعة فصول مستخرجة من تفسير في ظلال القرآن في نسخته الثانية، وثمانية فصول كتبت على فترات. تم تأليفه على شكل فصول أثناء وجود قطب في مستشفى السجن، حيث كان يقوم بتسريب تلك الفصول تباعًا إلى الخارج بواسطة أخته أثناء زيارتها له[١].

(١) للمزيد عن مؤلفات سيد قطب انظر: نفس المراجع بالهامش السابق ، ص ٥

٢ـ تحوله من الإشتراكية إلى الإخوان:

تحسن الإشارة إلى حقائق سريعة حول مسيرة وتوجهات قطب الفكرية والثقافية؛ حيث مر بثلاث مراحل أساسية خلال حياته. ففي المرحلة الأولى (١٩٢٥-١٩٤٥)، كان مشغولًا بالشعر والأدب والنقد الأدبي[١] ، وكان قوميًّا ليبراليًّا متشددًا معاديًا للإسلام والتقاليد في معظم هذه المرحلة.[٢]

وفي المرحلة الثانية عقب الحرب العالمية الثانية وقبل حقبة ما بعد الاستعمار، تحول سيد قطب للتوجه الإسلامي، واتبع المقاربات الاعتذارية العامة في: فهم الإسلام والدعوة إليه، وفي الحلول الإسلامية لمختلف الأزمات والكوارث الاجتماعية والسياسية على الصعيدين المحلي والعالمي. هذه المقاربات دأبت على تقديم الإسلام دينًا علميًّا وعقليًّا قادرًا على مواكبة تطورات وتحديات العالم الحديث[٣].

وفي المرحلة الثالثة والأخيرة المتطرفة، مع بداية حقبة ما بعد الاستعمار في مصر والعالم الإسلامي، خصص قطب جهوده لتحليل النظامين الاجتماعي والسياسي السائدين في العالم الإسلامي. وفي نهاية المطاف، صاغ خطة نهوض ودعا لثورة إسلامية كطريق وحيد لتحرير المسلمين والبشرية جمعاء مما أسماه حالة الجاهلية[٤] .

أقبل قطب على دراسة القرآن من زاوية أدبية ثم نشر كتابه (التصوير الفني في القرآن عام ١٩٤٥م)، وبدأ يتجه نحو الفكر الإسلامي ويبتعد عن العقاد ومدرسته، ثم سافر لأمريكا في عام ١٩٤٨ في بعثة استمرت عامين أوفدته خلالها وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج، وتأثر قطب خلال وجوده في أميركا بفرح بعض الأمريكان بخبر مقتل حسن البنا في عام ١٩٤٩، فبدأ قطب يقترب تدريجيًّا من جماعة الإخوان باعتبارها تمثل إزعاجا للغرب، وقد نشر كتابه الأول في الفكر الإسلامي عام ١٩٤٩ بعنوان العدالة الاجتماعية في الإسلام[٥].

وقد مثّل تلقيه لنبأ مقتل حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، في فبراير عام ١٩٤٩ وهو في الولايات المتحدة، نقطة تحوُّل مهمة في إعادة بلورة أفكاره، فعاد بعدها إلى مصر وبدأ في التفاعل مع شباب الإخوان فكريًّا وأدبيًّا

---

(١) صلاح الخالدي ، سيد قطب ، من الميلاد إلى الاستشهاد، ص ٥٠١.

(2)Ibrahim M. Abu-Rabi, "Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World", (Albany، State University of New York Press, 1996), 96-99. John Calvert, "Sayyid Qutb and origins of Radical Islamism", (Oxford، oxford university press, 2013), 115.

(3) John Calvert, "Sayyid Qutb and origins of Radical Islamism", (oxford، oxford university press, 2013), 127-128- 137.

(4) Ibid, 204-218-219-222.

(٥) جهاد عودة ، سقوط دولة الإخوان، كنوز للنشر ، مصر، ط١، ٢٠١٣م ، ص٣٦٩-٣٧٠.

وتنظيميًّا، حتى انضم إليهم ورأس تحرير جريدتهم الأولى بعد انقلاب ٢٣ يوليو ١٩٥٢، بالإضافة إلى علاقته الوثيقة بتنظيم الضباط الأحرار قبل إسقاطهم النظام الملكي، وهي علاقة سرعان ما انقلبت إلى خريف بعد اتهام عبد الناصر للإخوان بمحاولة اغتياله عام ١٩٥٤، فقضى قُطب على إثرها ١٠ سنوات في المعتقل، حتى توسَّط للإفراج عنه الرئيس العراقي عبد السلام عارف عام ١٩٦٤ بعفو صحي(١).

وساهم توجه قطب لدراسة القرآن لأغراض أدبية بعد اطلاعه على الثقافة الغربية في شعوره بخواء الغرب في تقديم إجابات عن الأسئلة الجوهرية المتعلقة بالإنسان والكون والحياة، والتعلق بالثقافة المادية مع غياب الجانب الروحي، ومن ثم تعلق قطب أكثر بالقرآن، وأخذ يدرسه بهدف تكوين تصورات متماسكة عن الهدف من الخلق، ودور الإنسان في الحياة، والمنهج الذي يكفل للبشرية السعادة ويمزج بين الروح والمادة. وفي النهاية اعتبر قطب أن الإسلام هو المنهج الذي يحقق كرامة الإنسان ويحقق له التحرر المطلق في حدود إنسانيته وعبوديته لله.

وتحوَّل سيد قطب من نقده للحداثة والحضارة الغربية إلى تبني المنهج الإسلامي. ويجدر بنا هنا التوقف عند السياق الذي بدأ فيه قطب الحديث عن المنهج الإسلامي ومعالمه، وهو الحرب العالمية الثانية، التي أحالت العالم إلى دمارٍ كبير، تحدث عنه قطب ووصفه بـ موت القيم الإنسانية وهلاك الروح البشرية، مما دعاه إلى البحث عن منهج يقي العالم من شرور المادية. وبعد عودته من الولايات المتحدة إلى مصر عام ١٩٥٠، وعزمه الانضمام إلى جماعة الإخوان، كتب قطب رسالته إلى صديقه الأديب أنور المعداوي قائلًا: سأعود ببرنامج اجتماعي كامل يستغرق أعمار الكثيرين ثم نشر كتابه الذي تلقّاه الإخوان المسلمون في مصر بحفاوة بالغة وظنوا أنه توجه به إليهم إثر كتابته في الإهداء: إلى الفتية الذين كنت ألمحهم بعين الخيال قادمين؛ فوجدتهم في واقع الحياة قائمين. يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، مؤمنين في قرارة نفوسهم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين (٢).

ورغم أنه لم يكن يقصد الإخوان المسلمين كجماعة في الإهداء سالف الذكر، لكنه اقترب منهم بعد عودته من الغرب بشكل كبير، كما ذكر فريد عبد الخالق في شهادته، واقترب قطب كذلك من الضباط الأحرار واقتربوا هم منه. وخلاصة القول هنا: إن منهج قطب الإسلامي تبلور في بداية العقد الخامس من القرن الماضي، وإن اقترابه من الإخوان بعد مقتل البنا عمَّق وضع الحركة والتنظيم في منهجه، وأشار إلى هذا الأمر بوضوح في كتابه الأخير لماذا أعدموني، فقال إن تقرُّبه من الإخوان حدث نتيجة رؤية الغرب لهم بوصفهم القوة المتوقَّع منها أن تقود الإسلام. ودعا قطب إلى

(١) مجدي عبد المعطي ، من أعدم سيد قطب؟ ولماذا؟، ص٧.
(٢) عبد الجبار الرفاعي، الدين والظمأ الأنطولوجي، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط١، ٢٠١٦، ص٥-٦.

استئناف الحياة الإسلامية -أي العودة إلى التراث الإسلامي والاعتماد على النص القرآني-قائلا: نحن ندعو إلى استئناف حياة إسلامية في مجتمع إسلامي، تحكمه الشريعة الإسلامية والنظام الإسلامي [١].

وقد أحدثت جماعة الإخوان وخاصة مؤسسها حسن البنا من إحياء فكرة العمل لإعادة الدولة الإسلامية بعد سقوط الخلافة على يد أتاتورك تأثيرًا فكريًّا ضخمًا خاصة على سيد قطب، ويحتمل كثيرًا أننا لم نكن لنجد سيد قطب لولا الإخوان المسلمين ولولا البنا. وحول عمله في الجماعة يقول عن نفسه: "ومع ترحيبهم على وجه الإجمال بانضمامي إلى جماعتهم إلا أن مجال العمل بالنسبة لي في نظرهم كان في الأمور الثقافية لقسم نشر الدعوة ودروس الثلاثاء والجريدة التي عملت رئيسًا لتحريرها أما الأعمال الحركية فقد ظللت بعيدًا عنها"[٢].

وعندما وقع الصدام بين الإخوان والحكومة، كان قطب من أوائل المعتقلين؛ رغم علاقته الجيدة بالثورة ورجالها ومشاركته فيها فقد كان يعمل أكثر من اثنتي عشر ساعة يوميا قريبًا من رجال الثورة ومعهم ومع من يحيط بهم. وقد عرضوا عليه مناصب رفيعة لكنه رفض أن يكون في حكومة أدارت ظهرها للإسلام وتبنت غيره - على حد تعبيره-ومنذ لحظة اعتقاله بدأت مرحلة جديدة في فكر سيد قطب [٣].

٣ـ أثر فكر المودودي عليه:

لم تكن أفكار سيد قطب مجرد آراء نبعت من وحي خياله، وإنما هي امتداد لفكرين تأثر بهما سيد قطب من شدة حبه لهما، وهما: حسن البنا، وأبو الأعلى المودودي. يقول محمد قطب: "إن فكر سيدّ قطب هو الامتداد الحقيقي لفكر حسن البنا"[٤]، وتأثر أيضًا بالفكر الإسلامي لأبي الأعلى المودودي، المؤسس والمنظر الرئيسي للجماعة الإسلامية [٥].

ويعتبر سيد قطب من بين أهم الرموز التي ظهرت بعد وفاة حسن البنا -الذي كان يحوز سطوة فكرية وتنظيمية على أتباعه- غير أن قطب كان أكثر ميلًا لأفكار المودودي، التي كانت أكثر ميلًا إلى الصِّدَامية المباشرة من البنا الذي اعتمد مشروعًا طويل المدى للتغيير، يعتمد أكثر ما يعتمد على التجميع وبث روح الولاء له ولجماعته قبل الولوج في السياسة، بينما كانت السياسة ذات مركزية واضحة في أفكار وكتابات المودودي لأنه بدأ مسيرته الحركية بطرح مشروع الدولة الإسلامية، التي كانت في

(١) مجدي عبد المعطي، من أعدم سيد قطب؟ ولماذا؟، ص ٨.
(٢) جهاد عودة، سقوط دولة الإخوان، ص٣٧٠.
(٣) عبد المعطي، من أعدم سيد قطب؟ ولماذا؟، ص ٩.
(٤) جهاد عودة، سقوط دولة الإخوان، ص٣٦٦.
(٥) محمد عقان، موقع مداريك -مقال بعنوان نموذج الدولة في ايديولوجيا سيد قطب، نشر بتاريخ ٢٠-٢-٢٠١٣م، رابط الموقع http://madareek.com

المرحلة الخامسة في مشروع البنا، بعد الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة ثم المجتمع المسلم، فالحكومة الإسلامية[١]، أكد ذلك جمال البنا - وهو الشقيق الأصغر لحسن البنا- بقوله: "إن كتابات المودودي ساهمت في جنوح كثيرين إلى منهج التكفير أبرزهم سيد قطب"[٢]، حيث قام قطب بصب أفكار المودودي في القوالب الحركية التي أسسها حسن البنا، ثم حوَّل هذه الأفكار إلى مناهج عملية وتطبيقية، فكان أكثر استعدادا للتنفيذ والصدام والمواجهة، وانتقل بالإخوان من استراتيجية المراحل التي اتبعها البنا إلى اختصار المسافات وقلْب الأولويات، فأخذت السياسة تتقدم على العقيدة، وأصبح لإقامة الدولة الإسلامية-بزعمهم- الأسبقية، وصار تقلد السلطة والحكم أكثر أهمية من ترسيخ الإيمان بالله.

بعد أن تبين لنا أن أفكار سيد قطب تأثرت بشكل واضح بأبي الأعلى المودودي وحسن البنا، نجد أن هناك اتجاه يرى أن جذور الفكر المتطرف تمتد إلى تراث ابن تيمية وتنظيراته. لذا، قمنا بدراسة واستقراء كتابات أبي الأعلى المودودي، وحسن البنا، وسيد قطب، بهدف تحديد مدى تأثير ابن تيمية فيها، وما إذا كانت أفكاره حاضرة بشكل مباشر في مؤلفاتهم ومقالاتهم كالتالي:

أـ حضور ابن تيمية في مؤلفات أبو الأعلى المودودي:

لقد كان لابن تيمية حضور في كتاب المودودي (موجز في تجديد الدين وإحيائه) في ثلاث مواضع ؛ حيث تعرف على كتابات ابن تيمية وسيرته التي انتقلت إلى الهند وتناولها علماء كبار فيها، قبل عصره، مثل ولي الله الدهلوي وصديق حسن خان فاطلع المودودي على سيرة ابن تيمية؛ فأنصفه وأنصف دوره ودعوته، بقوله "وإنَّ الرجل الذي مضى قُدُمًا بعمل الإمام الأصلي في بعث روح الإسلام الفكرية، وتنقية نظام الفكر، ونظام التمدن من أوساخ البدع والضلالات، متجنبًا لتلك النقائض هو الإمام ابن تيمية"[٣] ، ثم حدد ملامح المشروع التجديدي عند ابن تيمية من خلال انتقاده للمناطقة والفلاسفة انتقادًا أشد وأدق ممَّا فعله الغزالي، ذكر أن ابن تيمية أقام من الأدلة والبراهين على استقامة عقائد الإسلام وأحكامه وقوانينه، ما كان يفوق أدلة الغزالي، سوغانًا في العقل وأحوى منها لروح الإسلام. وأنه واجه التقليد الجامد

(١) للمزيد حول مشروع الإخوان لأستاذية العالم يراجع: زهير سالم: مقال بعنوان/ مشروع الاخوان المسلمين، موقع الإخوان المسلمين بسوريا، نشر بتاريخ: ١ أبريل، ٢٠٢٤ م، رابط الموقع: https://ikhwansyria.com.

(٢) عبد النبي الشعلة، مقال بعنوان: الفكر السياسي الإسلامي المعاصر وأبو الأعلى المودودي، موقع البلاد، تاريخ النشر: ٢٧ أكتوبر ٢٠٢١ رابط الموقع: https://www.albiladpress.com/news/ruh بتصرف.

(٣) أبو الأعلى المودودي، موجز في تجديد الدين وإحيائه، وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، دار الفكر الحديث، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م، ص٧٣-٧٩.

وزاول الاجتهاد [١]. وجاهد البدع وتقاليد الشرك وضلال العقائد والأخلاق جهادًا قويًا عنيفًا، ولاقى في سبيل ذلك أعظم المصائب؛ ولم يغادر شائبة من الشوائب التي كانت كدَّرت صفو المعين الإسلامي، حتى أتى عليها بنقده المرير، وخلص منها طريقة الإسلام المحض، وعرضها مجلوّة أمام أعين العالمين. كما يشير فضلًا عن ذلك إلى جهاده التتر بالسيف [٢].

رغم هذا الثناء والمدح من المودودي لابن تيمية إلا أنه لم يجد عنده بغيته واتهمه بالفشل في بعث حركة إسلامية انقلابية شاملة على نظام الحكم؛ مثلما فعل المودودي نفسه-، وهو ما ينم عن المسافة البعيدة بينهما، ولا نستبعد أنَّ المودودي لم يطلع الاطلاع الوافي على تراثه ومجمل خطابه، وهذا نص انتقاده له إذ يقول: "على أنه من الواقع -مع ذلك كله-أنه لم يوفق لبعث حركة سياسية في المسلمين، يحدث بها الانقلاب في نظام الحكم، وتنتقل مقاليد الحكم من أهل الجاهلية إلى أهل الإسلام"[٣].
ولا يمكن تفسير هذا التحفظ الأخير الآتي من إصرار المودودي -كما سيد قطب-على طرحهما في الانقلاب الإسلامي، والنظرة الجاهلية للدولة والمجتمع، وهو ما لم يكن من أولويات ولا مبادئ دعوة ابن تيمية، وهو ما يوضح الفروق بين المودودي وابن تيمية في أعظم قضايا التطرف.

لذلك، نستبعد تمامًا أي تأثير مباشر لابن تيمية على فكر المودودي، الذي كان يرى أنه قصر في حق الأمة وفشل في القيام بالثورة الشاملة على حاكمية البشر من أجل قيام الحاكمية الإلهية.

ب ـ حضور ابن تيمية في رسائل حسن البنا:

لم يرد ذكر ابن تيمية في رسائل حسن البنا سوى مرتين، وكلاهما في موضع واحد ضمن رسالة الحديث من مجموع رسائله. الموضع الأول جاء في سياق تعريف البنا للحديث الحسن، بينما ورد الموضع الثاني في باب الاحتجاج بالحديث الحسن. ونظرًا لأن هذه الرسائل كانت تعليمية وتوجيهية موجهة لأفراد الجماعة التي أسسها البنا، فإن هذين الموضعين لا يدلان على وجود تشابه منهجي أو تأثير وتأثر بين البنا وابن تيمية. وفيما يلي نص قوله في الموضع الأول: البنا: "قال الشيخ ابن تيمية: أول من عرف أنه قسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف أبو عيسى الترمذي، ولم تعرف هذه التسمية عن أحد قبله. وقد بيَّن أبو عيسى مراده بذلك: فذكر أنَّ الحسن ممَّا تعددت طرقه. ولم يكن فيهم متهم بالكذب، ولم يكن شاذًا، وهو دون الصحيح الذي عرف عدالة ناقليه وضبطهم" [٤]. وفي الموضع الثاني يقول البنا: "قال السخاوي:

(١) المصدر السابق، ص٨٧.
(٢) المصدر السابق، ص٨٩-٩٠.
(٣) المصدر السابق، ص٩٠.
(٤) حسن البنا، مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، مكتبة آفاق، الكويت، ط١، ٢٠١١، ص٢٧٩.

منهم من يدرج الحسن في الصحيح لاشتراكهما في الاحتجاج، بل نقل ابن تيمية إجماعهم عليه إلَّا الترمذي خاصة"[١].

لذا فحسن البنا لم يتعرف إلى ابن تيمية إلَّا عبورًا لغاية تعريفية أو تعليمية في علم وتصنيف الحديث، ولم نجد لابن تيمية ومنهجه الفكري عند البنا شيء، وبناء عليه نرى عدم تأثر البنا بابن تيمية.

ج ـ غياب ذكر ابن تيمية في مؤلفات سيد قطب:

لم نجد أي ذكر لابن تيمية في كتابات سيد قطب، ولو لمرة واحدة، من خلال استقرائنا لمؤلفاته. وأغلب الظن أن سيد قطب لم يتعرف على ابن تيمية بشكل مباشر، ويؤكد ذلك تفسيره لتوحيد الألوهية بطريقة تخالف ما قرره ابن تيمية، بالإضافة إلى خلطه بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، على عكس ما قرره[٢]، فضلًا عن أخطائه العديدة في مسائل الصفات، مثل صفة الاستواء وصفة العلو وغيرها. كل هذه النماذج تدل على أن سيد قطب لم يقرأ تراث ابن تيمية وتلامذته قراءة متعمقة، مما ينفي أي تأثير مباشر أو غير مباشر لفكره عليه.

ومن ثم، يتضح أن ابن تيمية لم يكن له أي تأثير على رموز خوارج العصر، وعلى رأسهم سيد قطب، الذي لم يرد ذكر ابن تيمية في كتبه أو خطاباته. وبدلًا من ذلك، كان تأثر قطب واضحًا بأفكار حسن البنا وخاصة أبي الأعلى المودودي، حيث استقى منه مفاهيمه الأساسية حول الحاكمية والجاهلية والتغيير الثوري. وهذا يؤكد أن المرجعية الفكرية لقطب لم تكن متصلة بابن تيمية، وإنما كانت امتدادًا للحركة الإسلامية الحديثة كما صاغها البنا والمودودي.

ونرى أنه من الظلم والافتراء أن يُدَّعى تأثر هؤلاء المفكرين بفكر ابن تيمية أو منهجه، أو أن يُزج باسمه عند كل حادثة إرهابية آثمة يرتكبها أتباع المودودي، والبنا، وقطب. بل إن الإنصاف يقتضي أن تُنسب هذه الأفكار إلى تفسيراتهم الخاصة للنصوص الدينية، وما تحمله من تأويلات متشددة ورؤى غير صائبة. وأن يُنظر إلى فكرهم على أنه أقرب إلى منهج الخوارج الأوائل، حيث تأثروا بهم في تفسير الإسلام تفسيرًا سياسيًا، بعيدًا عن القواعد والأصول الشرعية المستقرة. وهذا الخلل المنهجي كان له آثار وخيمة، وهو ذاته الذي عانت منه الأمة الإسلامية في الماضي، حين تم توظيف الدين لخدمة رؤى سياسية ضيقة، دون مراعاة المنهج العلمي الصحيح في فهم النصوص الشرعية.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣خرج أحاديثه، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الناشر، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٦ هـ -١٩٩٥ م، ص ١٧٦.

ثانياً/ مفهوم الجهاد وحكمه ومراتبه وأنواعه وشروطه:

يعتبر الجهاد من الفرائض التي شُوّهت حقيقتها من بعض أتباعها وخصومها، إذ اعتبره البعض غاية في ذاته، بينما هو وسيلة للدفاع عن المسلمين. فالإسلام قائم على السلام والإحياء، لا الحرب والموت، ولم يأتِ لإزهاق الأرواح بل لإحيائها وإصلاحها. وقد أكد القرآن حرمة قتل أي نفس بغير حق، حيث قال الله تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1]، مشيرًا إلى عصمة جميع الأرواح، دون تمييز، إلا بدليل شرعي واضح.

ونظرًا لأهمية مسألة الجهاد وخطورتها، نجد أنه من الضروري فهم بعض المفاهيم المتعلقة به. ورغم أن أحكام الجهاد واسعة وتحتاج إلى دراسة متأنية، سنركز على بيان: مفهوم الجهاد لغة واصطلاحًا، وحكمه، ومراتبه، والحكمة من مشروعيته، وأنواعه، وشروط وجوبه، وتمييزه عن المفاهيم المغلوطة كالإرهاب والحرابة والبغي. كما سنتناول مسائل التترس، واستئذان الوالدين في جهاد التطوع، والتأكيد على أن الجهاد ليس أمرًا فرديًّا، بل هو مسؤولية الإمام المسلم، الذي يجب على الرعية طاعته فيه ما لم يأمر بمعصية، حفاظًا على النظام ومنعًا للفوضى، على النحو التالي:

١ـ الجهاد لغة:

مصدر رباعي مِن جاهد يجاهد جِهادًا، ومادته :(جَهَدَ) الجيم والهاء والدال هي أصل هذا المصدر، وله عدة معان منها :الطاقة، والمشقة، والوسع، والقتال، والمبالغة. قال ابن فارس: "الجيم والهاء والدال أصله المشقة، ثمَّ يُحمل عليه ما يقاربه، يُقال: جهدت نفسي وأجهدت، والجهد: الطاقة، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾"[2].

والجهاد: محاربة الكفار، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة مِن قول أو فعل، يقال: جهد الرجل في الشيء: أي جد فيه وبالغ، وجاهد في الحرب مجاهدة وجهادً" [3].

---

(١) سورة المائدة ، آية ٣٢.

(٢) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، ج١، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م، ص٤٨٦-٤٨٧. والآية، سورة التوبة، الآية ٧٩.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية، ط٥، ١٩٩٩، باب الجيم مع الهاء، ص ٣١٩. وكذلك أحمد بن محمد المقري الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٨ هـ، مادة جهد، ص ١١٢.

وقال ابن منظور: "والاجتهاد والتجاهد، بذل الوسع والمجهود...وجاهد العدو مجاهدة وجهادًا: قاتله، وجاهد في سبيل الله، وفي الحديث: (لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ) [١]. والجهاد لمحاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة مِن قول أو فعل... وهو المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب، أو اللسان"[٢].

وقال الراغب الأصفهاني: "الجَهد والجُهد: الطاقة والمشقة، وقيل: الجَهد بالفتح: المشقة، والجُهد بالضم: الوسع"[٣]. وقال الفراء: "بلغت به الجهد: أي الغاية، وأجهد جهدك في هذا الأمر، أي: ابلغ فيه غايتك، وأما الجهد: فالطاقة: يقال: أجهد جهدك"[٤].

ومن خلال هذه التعريفات للمعنى اللغوي للجهاد يتبين أنه لم يخرج عن معاني الطاقة، والمشقة، والوسع، والقتال، والمبالغة.

٢ـ الجهاد اصطلاحًا:

أما الجهاد في اصطلاح العلماء فهو بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار المعاندين المحاربين، والمرتدين، والبغاة ونحوهم؛ لإعلاء كلمة الله تعالى[٥].

وللجهاد في الشرع معنيان: معنى خاص ومعنى عام، وكلاهما راجع للمعنى اللغوي المتضمن بذل الوسع والطاقة في سبيل الله تعالى. أما المعنى الخاص للجهاد فهو: القتال في سبيل الله.

---

(١) البخاري، الجامع المسند الصحيح= صحيح البخاري، ج٣، تحقيق، جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير برقم (٢٨٢٥)، صـ ٦. وأيضًا، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج٣ـ تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط٥، ١٩٥٥، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة واللفظ له، برقم (١٣٥٣)، ص١٤٨.

(٢) ابن منظور ، لسان العرب، ج٣، دار صادر – بيروت، ط ١، ١٩٩٠، مادة جهد، ص١٣٣.

(٣) الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢ هـ، ، ص٢٠٨.

(٤) ابن السكيت، إصلاح المنطق، تحقيق ، محمد مرعب، الناشر ، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م ، ص١١٤.

(٥) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٢، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩، ص ٦. وانظر أيضًا، محمد بن أحمد الفتوحي، منتهى الإرادات مع حاشية النجدي، ج٢، تحقيق د/ عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ، ص ٢٠. وكذلك انظر، المقدسي الحجاوي، الإقناع لطالب الانتفاع، ج٢، تحقيق د/ عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، مصر، ط١، ١٤١٨ هـ، ص ٦١. وكذلك أيضًا، ابن قدامة المقدسي، المغني على مختصر الخرقي، ج ١٣، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص ١٠.

قال الراغب الأصفهاني: "الجهاد هو: استفراغ الوسع في مدافعة العدو"[١].
وقال البهوتي: "الجهاد قتال الكفار خاصَّة"[٢].

وأما المعنى العام للجهاد: فإنه يراد به عموم أنواع الجهاد، من جهاد النفس والهوى والشيطان والمنافقين والكفار وغيرهم. فإذا أطلق لفظ الجهاد فالمراد به القتال في سبيل الله تعالى، وهو محل نظر الأحكام الفقهية المتعلقة به مِن معاهدات، أو عقود هدنة، وصلح، ونحو ذلك، يقول ابن رشد الجد:" كل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله إلا أن الجهاد إذا أطلق لا يقع إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"[٣].

قال ابن حجر: "الجهاد شرعًا: بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق"[٤]. وقال القسطلاني: "قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله، ويطلق أيضًا على جهاد النفس والشيطان" [٥].

وقال الكاساني: "الجهاد في عرف الشرع يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل بالنَّفس والمال واللسان، أو غير ذلك"[٦].

وقال النفراوي الجهاد هو: "قتال مسلم كافرًا غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله"[٧].

وقال ابن تيمية: "الجهاد في سبيل الله تعالى مِن الجهد، وهي المغالبة في سبيل الله بكمال القدرة والطاقة، فيتضمن شيئين: أحدهما استفراغ الوسع والطاقة. والثاني أنْ يكون ذلك في تحصيل محبوبات الله، ودفع مكروهاته، والقدرة والإرادة بهما يتم الأمر"[٨].

---

(١) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص ٢٠٨.
(٢) البهوتي، شرح منتهى الإرادات، ج١، ص ٧١٦.
(٣) أبو الوليد بن رشد الجد، المقدمات الممهدات، ج١، تحقيق د، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨، ص ٤٢.
(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ج٦، ص ٣.
(٥) أحمد بن محمد القسطلاني، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، ج٥، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٤هـ، ص ٣١.
(٦) ابن مسعود الكاساني ، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٧، مطبعة الجمالية، مصر، ط١، ١٣٢٧ - ١٣٢٨ هـ، ص٩٧.
(٧) شهاب الدين النفراوي ، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ج٢، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م، ص٨٧٩.
(٨) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى، ج٢، جمع وترتيب ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، الناشر ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف -المدينة المنورة – السعودية، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص٢٨١.

ولعل أقرب المعاني الجامعة لمفهوم الجهاد ما قاله ابن تيمية: "الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحب الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان" ، وبالنظر إلى مضمون الجهاد بحسب ما يثيره هذا التعريف يتبين لنا أن مفهوم الجهاد من خلال كونه قيمة وأداة في ذات الوقت يستدعي مفاهيم أخرى يشكل معها- بالتساند والتوافق الذي يحدث معها- البعد المقاصدي للجهاد ذاته.

ومما ورد من الأحاديث في الجهاد بمعناه العام قوله ﷺ: (المجاهد من جاهد نفسه) [١]. وقوله ﷺ للذي استأذنه في الجهاد: (أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد) [٢].

أما مفهوم قطب للجهاد فيختلف عما يراه علماء الإسلام؛ فهو عنده كلمة جامعة تشتمل جميع أنواع السعي وبذل الجهد[٣]، ليَدخل في أصناف الجهاد ثلاث صور، الأولى تغيير وجهات أنظار الناس وتبديل ميولهم ونزعاتهم، وإحداث انقلاب عقلي وفكري بواسطة مرهفات الأقلام[٤]، والثانية القضاء على نظم الحياة العتيقة الجائرة بحد السيوف، وتأسيس نظام جديد على قواعد العدل والنصفة[٥]، والثالثة بذل الأموال وتحمل المشاق، ومكابدة الشدائد، فالذي استحق كل هذا الثمن الباهظ "هو إخراج البشر جملة من الدينونة للعباد، وردهم إلى الدينونة لله وحده في كل أمر وفي كل شأن وفي منهج حياتهم كله للدنيا والآخرة سواء[٦].

وهذا ما يطلق عليه في الفكر المعاصر بالتفسير السياسي للدين-الذي أسس على مفهوم الحاكمية والشمولية-إلى إعادة بناء مفاهيم وتصورات جديدة تتصل بالجهاد والجماعة والفتنة وغيرها؛ خصوصا أن المودودي سبق إلى فكرة إعادة بناء المفاهيم والمصطلحات القرآنية وفق منهجه في التفسير السياسي للدين، حيث يرى أن الجهاد عبارة عن الكفاح الانقلابي والحركة الدائبة المستمرة؛ التي يُقام بها من أجل

(١) الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير = سنن الترمذي، ج٣، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه، شعيب الأرنؤوط، الناشر، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩م، ص ٢١٧، كتاب فضائل الجهاد، باب هاد النفس، برقم (١٦٢١)، ص١١٧.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج٤، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين، برقم (٣٠٠٤)، ص٣٢٠. ومسلم، صحيح مسلم، ج٢، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، برقم (٢٥٤٩)، ص٥٤.

(٣) سيد قطب، الإسلام ومعركة الرأسمالية، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م، ص٥٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٣.

(٥) المصدر السابق نفسه.

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ١٩٠٣.

الوصول إلى هذه الغاية، وإدراك هذا المبتغى الذي سبق تحديده في المفهوم الجديد للإسلام [١]. وهنا حافظَ قطب على المفهوم اللغوي العام للجهاد؛ لأنه أوفق لتصوره للكفاح الانقلابي والحركة الدائبة.

فالجهاد عند قطب إنما هو لتقرير المنهج وإقامة النظام [٢]؛ الذي هو -في محصلة الأمر-الإسلام بمفهومه القطبي؛ حيث قال: "فمن يدرك طبيعة هذا الدين -الذي هو ثورة وانقلاب-يدرك معها حتمية الانطلاق الحركي للإسلام في صورة الجهاد بالسيف إلى جانب الجهاد بالبيان، ويدرك أن ذلك لم يكن حركة دفاعية بالمعنى الضيق"[٣].

وهذا المفهوم القطبي للجهاد مغاير تماما لما عليه ابن تيمية -الذي لطالما يتهم بأنه داعم ومغذي لأفكار التيارات والتنظيمات المتطرفة- الذي يرى أن الجهاد وسيلة وليس غاية في ذاته؛ لأن مقصوده تحقيق مصلحة التوحيد لله تعالى في العبادة، ودفع فتنة التكفير عن الناس، أو حصرها في صاحبها فلا تتعدى إلى غيره، إذ بذلك تبقى مفسدته على نفسه؛ فلا يضر غيره، لأن القتال إنما شرع للضرورة، ولو أن الناس آمنوا بالبرهان والآيات لما احتيج للقتال، فبيان آيات الإسلام وبراهينه واجبٌ مطلقًا وجوبًا أصليًا، وأما الجهاد فمشروع للضرورة [٤]. وليس كما يرى قطب أنه قاعدة الحياة البشرية، ومنهاج عام لها جميعا، يمكن الأمة المسلمة من قيادة البشرية في طريق الله وفق هذا المنهج المنبثق من التصور الكامل الشامل لغاية الوجود كله التي هي العبادة بمعناها السياسي.

٣ـ حكم الجهاد في سبيل الله:

الجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقين [٥]، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [٦].

ويكون الجهاد فرض عين في ثلاث حالات [٧]:

(١) المصدر السابق، ج٣، ص١٤٤٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، ط ١٠، ١٤٠٣هـ، ص ٥٣.

(٤) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج١٠، تحقيق الدكتور علي بن حسن العسيري، مطبعة المدني -القاهرة ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م، ص٢٣٨.

(٥) ابن قدامة، المغني، ج١٣، ص٦.

(٦) سورة التوبة، آية ١٢٢.

(٧) المصدر السابق ج١٣، ص ١٨.

أ - إذا حضر المسلم المُكلَّف القتال والتقى الزحفان وتقابل الصفان ، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴾ (١)، وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) ، وذكر النبي ﷺ: أن التولِّي يوم الزحف من السَّبع الموبقات(٣).

ب -إذا حضر العدو بلدًا من بلدان المسلمين تعيّن على أهل البلاد قتاله وطرده منها، ويلزم المسلمين أن ينصروا ذلك البلد إذا عجز أهله عن إخراج العدو ويبدأ الوجوب بالأقرب فالأقرب (٤)، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٥).

ج -إذا استنفر إمام المسلمين الناس وطلب منهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿ انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٦). وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: (لاهجرة بعدَ الفتح ولكن جهادٌ ونِيَّةٌ، وإذا استُنْفِرْتُم فانفِروا)(٧)، وقال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾(٨).

وجنس الجهاد فرض عين: إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد، فيجب على المسلم أن يجاهد في سبيل الله بنوع من هذه الأنواع حسب الحاجة والقدرة،

---

(١) سورة الأنفال، آية ٤٥

(٢) سورة الأنفال، آية ١٥- ١٦.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج٤، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا...)، برقم (٢٧٦٦)، ص١٠. ومسلم، صحيح مسلم، ج١، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، برقم (٨٩)، ص٩٢.

(٤) علاء الدين البعلي، الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة الرياض الحديثة، ط١، ١٩٧٦م، ص ٤٤٨.

(٥) سورة التوبة، آية ١٢٣.

(٦) سورة التوبة، آية ٤١.

(٧) البخاري، صحيح البخاري، ج٤، كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى، برقم (٦٩٣)، ص١٥.

(٨) سورة التوبة ، آية ٣٨.

والأمر بالجهاد بالنفس والمال كثير في القرآن والسنة، وقد ثبت من حديث أنس أن النبي ﷺ قال: (جاهدوا المشركين بألسنتكم، وأنفسكم، وأموالكم، وأيديكم) [١].

وأما المودودي فيرى أن الجهاد بمثابة ركن سادس من أركان الإسلام الصحيحة، وعدم تلبية الأمر الإلهي هو محض عصيان وكفر بما أنزله الله عز وجل، يقول: "إن الجهاد هو الركن السادس من أركان الإسلام لأنه يشكل السعي المستمر في إقامة نظام الحق. ولازم على كل شخص الدخول تحت راية هذا المنهاج الإلهي، ويخلص عبوديته لله وحده دون سواه، وعدم اتباع نهج الحرية الفردية السائدة في النظم والقوانين الوضعية المستحدثة. إن هذا هو معنى العبودية الذي نبثه ونعممه وندعو البشر كافة، المسلمين وغير المسلمين، إلى قبوله والإيمان به والإذعان له"[٢].

ولا يميز المودودي بين أنواع الجهاد وشروطه، بل إننا نجده يدعو إلى الجهاد بإطلاق، أي الجهاد العالمي المسلح، لأن كل أمة جاهلية في نظره، مادامت لا تطبق شرع الله؛ فالجهاد الإسلامي "هجومي ودفاعي معًا، هجومي لأن الحزب الإسلامي يضاد ويعارض الممالك القائمة على المبادئ المناقضة للإسلام، ويريد قطع دابرها ولا يتحرج في استخدام القوى الحربية لذلك، وأما كونه دفاعيًّا، فلأنه مضطر إلى تشييد بنيان المملكة، وتوطيد دعائمها حتى يتسنى له العمل وفق برنامجه وخطته المرسومة"[٣].

وقد تأثر قطب بالمودودي في ذلك فيرى -أيضًا-أن الجهاد فرض عين وأن كل مسلم انقلابي بالطبيعة؛ زاعما أن الغاية من الخَلْق والدِّين هي عمارة الأرض وإقامة عدل الدنيا؛ حيث قاده مفهومه للدين وللحاكمية إلى تقليص مكانة الشعائر التعبدية في الرسالات السماوية -كما سيأتي في المبحث القادم-، مخالفا بذلك كل التفاسير القديمة للعلماء التي تجعل الهدف من خلق الإنسان هو العبادة بمعناها الديني حيث جعلها مجرد صورة من صور الدينونة لله في شأن من الشؤون [٤]. وهذا المفهوم هو ما اعتمدته التنظيمات الجهادية الجانحة واتخذوه سبيلًا ومستندًا ليشرعنوا به أفعالهم الإرهابية الإجرامية.

---

(١) أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ج٣، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ١٩٩٧م. كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، برقم (٢٥٠٤)، ص ١٤٣. وانظر أيضًا، النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي المجتبى، ج٦، تحقيق، محمد رضوان عرقسوسي ومحمد أنس مصطفى الخن، شارك في التحقيق، محمد معتز كريم الدين، عمار ريحاوي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٩ هـ -٢٠١٨م، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد، برقم (٣٠٩٨)، ص ٤٣.

(٢) المودودي، الجهاد في سبيل الله، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٦، ١٩٨٣م، ص٢.

(٣) المصدر السابق، (ص١٦).

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص١٩٣٨.

٥ـ الحكمة من مشروعية الجهاد:

بيَّن الله تعالى الحكمة والغاية من الجهاد في سبيل الله فقال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ الله بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١) ، وقال الله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لله فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٢) .

فعلى هذا يكون الهدف والحكمة من الجهاد الأمور الآتية:

الأمر الأول/ إعلاء كلمة الله تعالى: ودليل ذلك حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه-قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجلُ يُقاتل للمغنم، والرجلُ يُقاتل ليُذكر، والرجلُ يُقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (٣) .

الأمر الثاني/ نصر المظلومين: لقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (٤) .

الأمر الثالث/ رَدُّ العُدوان وحفظ الإسلام: لقوله تعالى: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ الله وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٥) . ولقوله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا الله وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ الله كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ الله مَن يَنصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٦) .

ويتفرع عن هذا مسألة غاية في الأهمية -لما لها من مردود إيجابي على فكر خوارج العصر- وهي هل القتال للكفر وحده، أم لا بد معه من الصد والمقاتلة؟، يقول ابن تيمية في ذلك"وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة، كالنساء والصبيان والراهب، والشيخ الكبير، والأعمى، وَالزَّمِنِ ونحوهم، فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله، وإن كان بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر، إلا النساء والصبيان لكونهم مالًا للمسلمين، والأول هو الصواب، لأن القتال هو لمن يقاتلنا

---

(١) سورة الأنفال، آية ٣٩.
(٢) سورة البقرة، آية ١٩٣.
(٣) البخاري ، صحيح البخاري، ج٤ ، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالمًا جالسًا، برقم (١٢٣)، ص٢٠. وأيضًا، مسلم، صحيح مسلم، ج٣، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، برقم (١٩٠٤)، ص ١٥١٢.
(٤) سورة النساء، آية ٧٥.
(٥) سورة البقرة، آية ١٩٤.
(٦) سورة الحج، آية ٤٠.

إذا أردنا إظهار ديننا، كما قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾" (١).

ولذا فإن قتل من لم يقاتل من الكفار عند ابن تيمية ليس واجبًا ولا مطلوبًا، إلا إذا باشرنا بالمقاتلة، فنقتله دفعًا لشره، ولذا فالأصل عند ابن تيمية أن دم الآدمي معصوم لا يقتل إلا بالحق، وليس القتل للكفر من الأمر الذي اتفقت عليه الشرائع ولا العقول"(٢). وهذا الكلام لابن تيمية منضبط مع أصول أهل السنة مبرئا له من تهمة التطرف والإرهاب الفكري التي لطالما ربط بعض الباحثين ووسائل الإعلام فكر التكفيري الجهادي بتنظيرات ابن تيميّة، وأن جل الجماعات ينطلقون مما سطره في هذا الباب وأفتى به. فالجهاد عند ابن تيمية إما أن يكون: جهاد دفع للصائل أو يكون جهاد طلب وجهاد الدفع عند ابن تيمية فرض عين، يقول في ذلك وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعًا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط -كالزاد والراحلة-بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم، وأما جهاد الطلب (طلب الكفار في بلادهم): بحيث يكون الكفار في حالة لا يحشدون لقتال المسلمين، فالقتال فرض كفاية وأقل فرض الكفاية سد الثغور بالمؤمنين لإرهاب أعداء الله(٣).

على عكس مفهوم قطب للجهاد الذي حصره في القتال فقط ؛ وجعله الغاية التي خلق الإنسان من أجلها وقدمه على سائر التشريعات التعبدية والمعاملتية -كما سنوضح في المبحث القادم-.

٦ـ شروط تحقق الجهاد:

لا نعني بالشروط هنا شروط التكليف خاصة وإنما نعني الشروط التي يتوقف عليها تحقيق مقصد الجهاد وحكمة مشروعيته، ويمكن إجمالها بما يلي:

الشرط الأول/ أن يكون الجهاد في سبيل الله:

فالقتال لا يكون جهادا إلا إذا كان في سبيل الله، ومع أن إعلان الجهاد من مسؤوليات الدولة متمثلة في شخص رئيسها، إلا أن ذلك مقيد بأن يكون في سبيل الله، أي أن مقصودة الأساسي إعلاء كلمة الله التي ذكرنا أنها تعني أحكام الاسلام باعتبارها تتضمن المصالح الحيوية للإنسانية وليس لجهة أو لقبيل من الناس.

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٨، ص٣٥٤. والآية، سورة البقرة، آية ١٩٠.
(٢) ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق، محمد عبد الله الحلواني، محمد كبير شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ، ص١٠٤.
(٣) المصدر السابق ج ١٤، ص٣٤٠.

وسبيل الله له معنيان، عام يشمل كل عمل صالح خالص سلك فيه التقرب إلى الله فردية كانت أو جماعية، وخاص وهو الجهاد باعتباره عملا صالحا شرع للتمكين لهذا الدين واتباعه وحماية المصالح الانسانية العليا.

ومما ينبغي التنبيه عليه؛ أن نية المجاهد وحدها لا تكفي لجعل جهاده أو قتاله في سبيل الله، إلا إذا كان مطابقًا للشرع. فلا يكون القتال مشروعًا إلا إذا التزم بأحكام الله تعالى. أما إذا قام بعض الأفراد بإعلان الجهاد دون حق، فاعتدوا على الناس، وقطعوا الطرق، وقتلوا من لا يجوز قتله من المسلمين وغير المسلمين، حتى وإن كانوا متأولين، وأفسدوا في الأرض، فإن فعلهم هذا لا يعد في سبيل الله، بل هو في سبيل الطاغوت. فكل قتال ينحرف عن نصرة الإسلام والدفاع عن حرماته، ولا يلتزم بشروطه الشرعية، لا يُعتبر جهادًا شرعيًّا، لأنه لا يحقق المقصد الذي شرع من أجله الجهاد، بل يخدم أهدافًا خاصة، ويغذي أهواء أصحابه ليس إلا.

وقد شُرعت أحكام الجهاد وحددت أهدافه وغاياته لتحقيق مصلحة العباد، فلا يكون في مصلحتهم أن يتحول الجهاد أو القتال إلى مصدر للفساد والضرر. فإذا انحرف فرد أو جماعة أو دولة عن مقاصد الجهاد الحقيقية، وجعلوه وسيلة لهدم المقومات الأساسية للحياة، فإن ذلك يُعد جهادًا في سبيل الطاغوت وإفسادًا في الأرض، وهو أمر باطل، لأن كل ما يناقض مقصود الشارع مرفوض قطعًا [(١)]. ومن المعلوم أن الغاية من الشريعة عمومًا -والجهاد جزء منها -هي أن يخضع المكلَّف لأحكامها، فيتحرر بذلك من اتباع هواه، فيكون عبدًا لله باختياره، كما هو عبد لله بحكم الضرورة [(٢)].

لقد أثبتت التجارب القديمة والحديثة، إضافة إلى العادات، أن اتباع الهوى والانقياد وراء المصالح الشخصية والسعي خلف الشهوات بلا ضوابط يؤدي حتمًا إلى الفوضى والاقتتال وإهلاك الحرث والنسل، وهو أمر يتعارض مع مقاصد الشريعة. ولهذا جاءت النصوص الشرعية والعقل السليم متفقة على ذم اتباع الأهواء، لما يترتب عليه من فساد وإفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [(٣)] .

(١) يوسف العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٨٧.
(٢) أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، ج٢، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م، ص١٢٠.
(٣) سورة المؤمنون ، آية ٧١.

الشرط الثاني/ أن تتوفر في المجاهدين شروط التكليف الشرعية:

وسنذكرها إجمالا بالقدر الذي يحقق مقصود البحث؛ فبعد توفر العقل، اشترط الاسلام للتكليف بالجهاد الكفائي البلوغ والذكورة، حتى يجنب الأطفال آثار الحرب على أنفسهم، حيث دلت دراسة خاصة صادرة عن اليونيسف على أن أكثر الفئات تأثرا بالحرب ومعاناة لآثارها هم الأطفال(١)، مع أنهم أقل الفئات تأثيرا فيها وانتفاعا منها، كما تدل الاحصائيات على أن ضحايا الحروب من الأطفال في تزايد مطرد، ومن العوامل التي ساعدت على تزايد ضحايا الحروب من الأطفال تزايد المجندين منهم في الحروب، وتعد الحروب الأهلية أحد أسباب زيادة القتلى بين الأطفال، لأنها صراعات ساحتها شوارع القرى والمدن والمزارع.

ومن هذه الشروط؛ استئذان الوالدين في الخروج إلى الجهاد، فلا شك أن بر الوالدين أفضل الأعمال بعد الصلاة التي هي أعظم دعائم الإسلام، ولأهمية بر الوالدين، وأنه من أعظم القربات، قال النبي ﷺ لمن استأذنه في الجهاد: (أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد) (٢)، أي خصصهما بجهاد النفس في رضاهما (٣).

ولأهمية ذلك بيَّن العلماء أنه لا يجوز الخروج للجهاد إلا بإذن الأبوين؛ لأن برهما فرض عين، والجهاد فرض كفاية؛ فإن تعيّن الجهاد، وكان فرض عين فلا إذن؛ لأن الجهاد أصبح فرضًا على الجميع: إما باستنفار الإمام، أو هجوم العدو على البلاد، أو حضور الصف (٤).

وقد أوجب ابن تيمية إذن الوالدين والدائن في جهاد الطلب ولم يوجبه في جهاد دفع العدو إذا اعتدى على بلاد المسلمين، يقول في ذلك" فإذا أراد العدو الهجوم على المسلمين...، ويجب النفير إليه. أي العدو-بغير إذن الوالد ولا الغريم"(٥). وهنا يفرق ابن تيمية بين جهاد الدفع وجهاد الطلب، وأن جهاد الطلب وجب فيه إذن الوالدين أما جهاد الدفع فلا إذن هنا للوالدين والغريم.

---

(١) كارول بيلامي، وضع الأطفال في العالم، عدد ممتاز صادر عن قسم الإعلام والعلاقات الخارجية، مكتب اليونيسف الاقليمي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، المطبعة الوطنية، عمان، الاردن، سنة ١٩٩٦، ص١٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج٤، كتاب الجهاد، باب الجهاد بإذن الأبوين، برقم (٣٠٠٤)، ص ٥٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ج٦، ص١٤٠.

(٤) أبو جعفر الطحاوي، مشكل الآثار، ج٥، دار حيدر آباد، ط١، ١٣٣٣هـ، ص٥٦٣. وكذلك، الخطابي، معالم السنن، ج٣، تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩، ص ٣٧٨. وكذلك أيضًا، أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج٦، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١، ١٩٩٦، ص ٥٠٩.

(٥) البعلي، الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٣١١.

الشرط الثالث: رئيس الدولة صاحب الولاية في إعلان الجهاد:

شرع الله الجهاد بجميع أنواعه لإحداث تغيير في حياة البشر أفرادا وجماعات ودول، وهذا التغيير ينطوي على المصالح الحيوية للإنسانية، وهو مقتضى الرحمة التي أرسل بها النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، ومن المعلوم أن إمكانات الفرد أو الأفراد تعجز عن تحقيق ذلك، وإنما يحتاج إلى إمكانات الدولة المادية والمعنوية، لكي تنهض به، وإلى وسائلها المختلفة، خاصة وأنها تحمل مشروعا تغييريا سيقاتلها الناس عليه.

ويعتبر هذا الشرط من الشروط الجوهرية في وجوب الجهاد، وهو حد فاصل بين المنهج الوسطي ومنهج الخوارج المتطرف، وهذا الشرط يبين مدى دقة الفهم لمنهج أهل السنة وواقع المسلمين؛ فمن كان له إقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، فلا شك أن له حق الولاية والطاعة على الرعية في غير معصية، إذ لولا ولايته ما كان له حق التصرف على الرعية؛ حيث يلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك؛ لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [(١)]؛ولقول النبي ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني، فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني)[(٢)]، وفي حديث حذيفة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال له: (تسمع وتطيع للأمير وإن ضَرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع)[(٣)].

ومن طاعة ولي الأمر عدم الجهاد إلا بإذنه؛ ومما يفسر ذلك قول الإمام ابن قدامة: "وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك" [(٤)]، وقال الإمام الخرقي: "وواجب على الناس إذا جاء العدو أن ينفروا: المقلّ منهم والمُكثر، ولا يخرجون إلى العدوِّ إلا بإذن الأمير، إلا أن يفاجأهم عدوٌّ يخافون كلبَهُ -أي شرّه وأذاه -فلا يُمْكِنهم أن يستأذنوه"[(٥)].

---

(١) سورة النساء ، آية ٥٩.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، ج٩، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى، (أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)، برقم (٧١٣٧)، ص ٦١. وأيضًا، مسلم، صحيح مسلم، ج٣، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٣٥)، ص ١٤٦٦.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، ج٣، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، برقم (١٨٤٧)، ص ١٤٧٦.

(٤) ابن قدامة، المغني، ج١٣، ص ١٦.

(٥) أبو القاسم الخرقي، متن الخرقى على مذهب ابي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، ج٣، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٣٣.

ولا ينبغي لأحد من أفراد رعية الإمام المسلم -رئيس البلاد، وإن كان عاصيًا -أن يخرج إلى الجهاد إلا بإذنه -على حسب ما تقدم-، قال الإمام الخرقي: "ويُغزى مع كلِّ برٍّ وفاجرٍ"(١)، قال ابن قدامة: "يعني مع كل إمام"(٢).

لذلك قرر الفقهاء بأن المختص بإعلان حالة الحرب أو القتال هو الخليفة، لأن الحرب من المصالح العظام التي تناط بنظر ولي الأمر، فهو القائد الأعلى للقوات المسلحة قديما وحديثا، وهو الذي له سلطة تقدير إعلان حالة الحرب بعد الاستعانة بأهل الشورى والخبرة من عسكريين وسياسيين، وهذا ما تتطلبه السياسة الشرعية العادلة ومقاصد التشريع (٣).

ولا شك في أن الاضطلاع بهذه المسؤولية من أخص وظائف رئيس الدولة الذي عبر عنه فقهاء السياسة الشرعية بحماية البيضة، والذب عن المحرمات وتحصين الثغور بالقوة المانعة والقوة الدافعة (٤).

قال ابن قدامة: "وأمر الجهاد موكول إلى الإمام واجتهاده، ويلزم الرعية فيما يراه من ذلك"(٥)، وقال ابن المرتضى: "وغزو الكفار إلى ديارهم إلى الإمام فقط"(٦)، وقد ذكر القرافي في فروقه أن من تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم ما هو بالإمامة ولا يخلفه فيها إلا الإمام أي رئيس الدولة، ومنها إعلان الجهاد وعقد المعاهدات، لما له من صلاحيات منها حق الطاعة.

وعلى هذا فإن إعلان حالة الحرب من غير الإمام أو إذنه، يعد افتياتا على حقه، ويخضع لعقوبة تعزيرية، لأن ذلك قد يجر البلاد والعباد إلى ما لا تحمد عقباه، ويدخلها في حرب لا إعداد لها.

ولا يَنيب عن رئيس الدولة في هذا الأمر إلا من فوضه بنفسه، فلا يحق لأي جماعة نصّبت لنفسها زعيمًا أن تعلن الجهاد. فالحروب ليست مجرد لعبة تخوضها الأفراد أو الجماعات، بل هي نار متى اشتعلت، يصعب إخمادها ويستحيل التنبؤ

(١) شمس الدين الزركشي ، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، ج٦، دار العبيكان، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م، ص ٤٣٤.
(٢) ابن قدامة، المغني ج١٣، ص ١٤.
(٣) وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٩٩٨، ص١٣٣.
(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الحديث – القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م، ص١٦. وأبو يعلى، الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه، محمد حامد الفقي، الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤٢١ هـ -٢٠٠٠ م، ص٢٧. وابن قدامة المقدسي، الشرح الكبير على متن المقنع، ج١٠، أشرف على طباعته، محمد رشيد رضا صاحب المنار، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣، ص٣٧٣. وأبو المعالي الجويني، غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق، عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، ط٢، ١٤٠١هـ، ص٢٠٨-٢١٠.
(٥) ابن قدامة، الشرح الكبير، ج١٠، ص٣٧٣.
(٦) أحمد بن يحي المرتضى، كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، ج٦، مكتبة أهل البيت، دمشق، ط١، ١٤٤٤ هـ -٢٠٢٢ م، ص٣٩٦،٣٩٥.

بعواقبها. كما أن الجهاد يتطلب إمكانات الدولة المادية والمعنوية، ولا أحد أقدر على توظيفها لتحقيق أهدافه السامية من وليّ الأمر، لذلك كان الإذن به من اختصاصه وحده، وليس لأفراد الرعية.

ويتجلى هذا الشرط بوضوح عند ابن تيمية في مسألة إذن ولي الأمر، كما يظهر في موقفه من أحداث ماردين، حيث كان يتحرك ضمن إطار الدولة والسلطة الشرعية، وليس خارجها[1]. وذلك على العكس مما ذهب إليه سيد قطب وأتباعه، إذ يفارقون جماعة المسلمين وإمامهم، بل ويقدمون جهادهم الداخلي على جهاد العدو الخارجي، كما سيتضح في المبحثين القادمين.ويتضح هذا الشرط عند ابن تيمية في إذن ولي الأمر، بما قام به في ماردين؛ حيث كان يتحرك داخل إطار الدولة والسلطة الحاكمة الشرعية وليس خارجها. على عكس ما عليه سيد قطب وأتباعه؛ حيث يفارقون جماعة المسلمين وإمامهم؛ بل ويرون جهادهم أولى من جهاد العدو البعيد-كما سيأتي في المبحثين القادمين-.

٧ـ مفاهيم يتم تلبيسها بالجهاد:

يستلزم أن نفرق هنا بين مفهومين غاية في الأهمية وهما: الجهاد والإرجاف، ومفاهيم أخرى كالبغي والحرابة ومسائل كالتترس والتبييت التي يخلطها بعض المتطرفين بالجهاد. وثمة مفاهيم أخرى يراد لها أن تلتبس وتشتبه مع المعنى الجلي للجهاد؛ منها:

أ- الإرهاب والإرجاف: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا ﴾[2] ، وهي كلمة لها مفهومها السيئ الذى يعنى إثارة الفتن والاضطرابات والقلاقل باستحلال الدماء والأموال بين أبناء المجتمع الواحد تحت دعاوى مختلفة منها: التكفير للحاكم أو للدولة أو لطوائف معينة من الناس، ومنها استحلال دماء المسلمين تحت دعوى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. أو استحلال دماء غير المسلمين في بلادهم. أو أولئك الذين دخلوا البلاد الإسلامية بدعوى أن دولهم تحارب الإسلام ... إلى آخر ذلك من دعاوى الإرجاف التي يُسَوِّلُها الشيطان للمرجفين، والتي كان بعضها سببًا لظهور الخوارج في زمن الصحابة - ومن جاء بعدهم - وشُبُهًا يبررون بها إفسادهم في الأرض وسفكهم للدماء المحرمة، وحينئذٍ فإن الحكم يختلف تبعًا لاختلاف المفهوم.

وما يفعله خوارج العصر في بلاد المسلمين من قتل في بلاد المسلمين، أو في بلاد غير المسلمين من عمليات انتحارية، أو غير ذلك من

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦ م، ص١٤-١٥و٢٤-٢٥.
(٢) سورة الأحزاب ، آية ٦٠-٦٢.

أفعال التخريب التي أفرزتها أفكار المودودي والبنا وقطب، مخالف لتعاليم الإسلام، وهو نوع من البغي الذي جاء الشرع بصده ودفعه، بل وجب على الجهات المختصة قتال أصحابه، إن لم يرتدعوا عن إيذائهم للمسلمين ولغير المسلمين مواطنين ومستأمنين. ومن التدليس والتلبيس أن يسمى ما يفعلونه جهادًا، فأفعالهم بَغْي في الأرض بغير الحق، يُعَدُّ أصحابُه بغاةً يُقاتَلون إن كانت لهم منعة وشوكة؛ حتى يرجعوا عن بغيهم وإرجافهم.

ب-الحرابة والبغي: فالجهاد في الإسلام إنما هو لتحقيق غايتين اثنتين: الأولى: الدفاع عن المسلمين، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١) . والثانية: الدفاع عن حرية الناس في الإيمان بالإسلام أو البقاء على ما هم عليه، وهذه هي الفتنة التي أُمرنا أن نقاتل حتى نرفعها عن الناس؛ ليختاروا دينهم بحرية كاملة، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٢). ومن الواضح أن الجهاد لتحقيق هاتين الغايتين لا يكون إلا ضدَّ عدو خارجي.

أما استعمال القتل والترويع وتدمير الممتلكات داخل المجتمع المسلم، كما هو الحال في الأعمال التفجيرية في بلاد المسلمين فيسمى عند الفقهاء بـ الحرابة، والحرابة بغي وإفساد في الأرض، والمتلبس بها مستحق لأقصى عقوبات الحدود من القتل والسرقة والزنا؛ لأنه إفساد منظَّمٌ يتحرك صاحبه ضد المجتمع. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣) .

وبهذا نعلم أن الجهاد حق وفريضة محكمة لا يملك أحد تعطيله ولا منعه، ولكنه إذا تَفَلَّتَ من الضوابط الشرعية ولم تطبق فيه الأركان والشروط والقيود التي ذكرها العلماء خرج عن أن يكون جهادًا مشروعًا؛ فتارة يصير إفسادًا في الأرض، وتارةً يصير غدرًا وخيانة، فليس كل قتال جهادًا، ولا كلُّ قتل في الحرب يكون مشروعًا. كما سنوضح في المبحث القادم كيف تم توظيف الجهاد لمواجهة الأنظمة السياسية أو العدو القريب في رؤية قطب وأتباعه.

(١) سورة البقرة ، آية ١٩٠.
(٢) سورة البقرة ، آية ١٩٣.
(٣) سورة المائدة ، آية ٣٣.

المبحث الثاني

رؤية قطب الشمولية للجهاد

يُعدّ سيد قطب المرجع العقدي الأبرز للتنظيمات التكفيرية، من خلال الالتقاء حول مركزية الحاكمية في العقيدة، التي جُعلت مبررًا شرعيًا لتكفير الأنظمة والخروج على الحكام، الذين وصفهم بـ"الطواغيت" وفق تقعيداته. وقد شكلت أفكار قطب، إلى جانب أفكار أبي الأعلى المودودي، الأساس الفكري الذي وفّر لهذه التنظيمات المسلحة الإطار النظري الذي تتحرك من خلاله، حيث قدّمت إجابات عن أسئلة الواقع الجديد. وكانت هذه الأسئلة التكتيكية التي عالجها قطب عبر مجموعة من المفاهيم، هي التي أرست دعائم الفكر الحركي المسلح، ومهدت الطريق لظهور تلك التنظيمات.

وقد اعتمدت رؤية سيد قطب وتأصيلاته للجهاد على إسقاط الأنظمة الحاكمة في العالمين العربي والإسلامي، حيث دمج بين مفهومي الثورة الاجتماعية والجهاد الإسلامي، مما وفر المسوغات والدوافع الدينية للثورة والانقلاب على كل ما اعتبره مخالفًا لمشروعه الشامل للجهاد. ويتجلى ذلك لنا من خلال النقاط التالية:

أولًا/ قطب من الحاكمية إلى الثورة الشاملة على حاكمية البشر:

تعتبر الحاكمية من أكثر المسائل التي تأثر بها سيد قطب بفكر المودوي؛ حيث أعاد قطب صياغة مفاهيم الدين والإيمان والإسلام والجهاد وفق منظور سياسي أو حركي، أساسُه الحاكمية السياسية والقانونية؛ فالدين من منظوره هو المنهج والنظام الذي يحكم الحياة وهو أشمل من العقيدة عنده، والإيمان ليس مجرد مشاعر وتصورات [(١)]، وليس مجرد عقيدة ولا كلمات وشعارات ولا مجرد شعائر تعبدية وصلوات، وإنما هو نظام شامل [(٢)]، يجمع بين ثلاث مكونات يمكن أن نرصدها من كلام قطب المتكرر والمتفرق وهي:

الأول/ المنهج التنظيمي والحركي؛ الذي يزحف لتحرير كل الناس.

الثاني/ الانقلاب الثوري الذي يجب أن يحدث في المجتمع وعلى المستوى العالمي، ويهدف إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان.

الثالث: النظام الذي يحكم[(٣)] .

(١) سيد قطب، معالم في الطريق، ص٥٧-٦٢.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤ ، ص١٩٣٨.

(٣) قطب، هذا الدين، دار الشروق، القاهرة، ط ١٥، ١٩١٢م، ص٥.

وتتكرر هذه المكونات الثلاثة -التي يمكن تلخيصها بثلاث كلمات هي: التنظيم، والثورة ، والنظام ، في كلام قطب؛ حتى إنه يتفنن في التعبير عنها، كقوله: الإسلام تجمع تنظيمي حركي(١)، ونظام يحكم، ومنهج يتحكم، وقيادة تطاع، ووضع يستند إلى نظام معين، ومنهج معين، وقيادة معينة(٢)، وإعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد ومن العبودية لهواه(٣)، ولكي يُعاد بعث الأمة الإسلامية من جديد لابد من الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر-القوانين الوضعية- بصورة من الصور(٤).

موافقا بذلك ما دعى إليه المودودي بالدعوة إلى انقلاب عالمي شامل(٥)، ودعوة إلى انقلاب اجتماعي(٦)، فهو نظام شامل يقضي على سائر النظم الباطلة الجائرة الجارية في العالم ويقطع دابرها ويستبدل بها نظاما صالحا ومنهاجا معتدلاً(٧)؛ حتى تقام مملكة الله في الأرض -بزعمه- وهذه المملكة لله لا تقوم عند قطب بأن يتولى الحاكمية في الأرض رجال بأعيانهم هم رجال الدين كما كان الأمر في سلطان الكنيسة، ولا رجال ينطقون باسم الآلهة، كما كان الحال فيما يعرف باسم الثيوقراطية، أو الحكم الإلهي المقدس، ولكنها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة، وأن يكون مرد الأمر إلى الله وفق ما قرره من شريعة مبينة"(٨).

وهنا يناقض قطب نفسه فإذا استثنينا جانبا الطابع الانفعالي والنفسي في رؤية قطب للحاكمية التي جعلته ينظر إلى المجتمعات بالجاهلية، يتبين أن الحاكمية التي يدعو إليها، هي حاكمية التشريع التي يجب أن تكون إلهية المصدر ممثّلة بالقرآن وتعاليمه، ما يجعلها في النهاية عملية احتكام للنصوص الدينية من الناحية الإجرائية ؛ وبما أن أيّ نص هو في حاجة إلى بشر كي يُفهم ويؤول في آخر المطاف، بالتالي، تُصبح السلطة الوحيدة على الأقل من واقع التجربة التاريخية، التي تحتكر الحق في تفسير النصوص الإلهية، هي سلطة رجال الدين أو العلماء، الذين لهم تحيزاتهم الأيديولوجية، وتحالفاتهم السياسية، وأهوائهم الشخصية كبشر، ما يجعل من الحاكمية

(١) قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٤٥١.
(٢) معالم في الطريق ص١٩ - ٢٠.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر السابق، ص٨١.
(٥) المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، ص٥٤-٥٦.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٩٣٩.
(٨) قطب، معالم في الطريق، ص٦٠.

التي يدعو إليها قطب في النهاية أشبه بحاكمية رجال الدين وهنا تكون ليست حاكمية الله كما يريد قطب[١].

لذلك فالمسلم -عند قطب-هو من يطيع القرآن وحده، وفرق بين المسلم الحقيقي الذي يرى رؤيته ويسير على خطاه، وهم (الطليعة المسلمة)، وبين من يدَّعون الإسلام. واعتبر أن دعوته هي لإنشاء الدين انشاءً، وهي دعوة لاعتناق عقيدة الإسلام بين الناس، حتى لو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين. واعتبر موضوع التجديد في الفكر الإسلامي مرجأً؛ لأنه لا تجديد في الإسلام قبل أن يوجد الإسلام[٢].

والحقيقة أن إدخال الحاكمية ضمن المفاهيم العقدية الخالصة، والمصطلحات التوحيدية، له خطره في تطبيقاته على مستوى الواقع، لأن ارتباط الحاكمية بقضايا أصول الدين يجعل الأحكام التي تخرج عليه لها تعلق بالكفر والإيمان، لكن الأمر يختلف عند إبقاء هذا المفهوم ضمن المفاهيم الفقهية والسياسية، مع الإقرار بالأبعاد العقدية التي يحملها هذا المفهوم.

ومن هذه الرؤية القطبية للحاكمية التي جعل مدار الإسلام وزيادة الإيمان عليها تغذت جميع التنظيمات المتطرفة، حيث يرون غياب الإسلام ووجوب العمل على إعادته من خلالهم ووفق رؤيتهم.

ثانياً/ مركزية الجهاد في التفسير السياسي للدين عند قطب:

لم يكن المفهوم السياسي للدين مفهوما نظريًّا عند قطب؛ لأننا نجد تطبيقاته في ثلاث مسائل على الأقل، وهي إعادة تحديد موقع الشعائر الدينية من الإسلام، وتقويم واقع الإسلام والمسلمين، وتحديد موقع التنظيمات من الدين. ففيما يخص الشعائر الدينية نجد أن هذا المفهوم الجديد للدين وللحاكمية قاد سيدًا إلى تقليص مكانة الشعائر التعبدية في الرسالات السماوية، بل إنه يعطيها مكانة ثانوية أو تبعية على عكس كل التفاسير القديمة للعلماء التي تجعل الهدف من خلق الإنسان هو العبادة بمعناها الديني غير السياسي. ومن مجموع كلام سيد في هذه النقطة نجد أنه يجعل الشعائر التعبدية مجرد صورة من صور الدينونة لله في شأن من الشؤون؛ صورة لا تستغرق مدلول العبادة، بل إنها تجيء بالتبعية لا بالإصالة[٣]، ويرى أن تفسيره هذا -التفسير السياسي للعبادة -هو نفسه رسالة الأنبياء؛ إذ لو كانت حقيقة العبادة هي مجرد الشعائر التعبدية ما استحقت كل هذا الموكب الكريم من الرسل والرسالات، وما استحقت كل هذه الجهود المضنية التي بذلها الرسل[٤].

(١) نصر حامد أبوزيد ، نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤ ، ص٩٧.
(٢) طارق البشري، الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي ، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ص٢٨.
(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص١٩٣٨.
(٤) المصدر السابق، ج١، ص٤٢٣.

هذه المكانة التي جعل قطب أساس الإسلام عليها هي الأصل الكلي الذي قام عليه فكره، فجميع كتاباته بمثابة دعاية ذكية، وترسيخ متدرِّج لذلك الأصل، لهذا نجد أن أكثر القرَّاء لكتبه، والمعجبين بفكره؛ قد انحرف اعتقادهم وفكرهم ـ قليلًا أو كثيرًا ـ في ذلك الأصل، فتغيرت نظرتهم عن حقائق النبوة والدِّين والعبادة والشريعة تغيُّرًا جذريًّا، ثم مضوا في طريق العلم والدعوة والجهاد على غير هدًى، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا!. وهو بهذا الأصل يزعم أن الغاية من الخَلْق والدِّين هي عمارة الأرض وإقامة عدل الدنيا، وأن العبادة ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي وسيلة لتحقيق تلك الغاية المادية الدنيوية العاجلة.

يصرِّح سيد قطب بهذا أنَّ الشعائر التعبدية ـ الصلاة والزكاة والصيام والحج ـ تدخل في مدلول ومفهوم العبادة بالتبعيَّة لا بالأصالة، ولا شكَّ أن ما كان وجوده على وجه التبعية يحتل مرتبة ثانوية أدنى عمَّا وجوده ثابتٌ بالأصالة. فما الذي يحتلُّ مرتبة الأصالة الأولى والأعلى في مفهوم العبادة؟ إنه عمارة الأرض، كما يصرِّح به سيِّد قطب عند قوله تعالى: ﴿ وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1]. فيقول: "إن مدلول العبادة لا بدَّ أن يكون أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر، فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر والله لا يكلِّفهم هذا، وهو يكلفهم ألوانًا أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم، وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يكلفها الجنُّ، ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان، نعرفها من القرآن من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [2] ؛ فهي الخلافة في الأرض إذا عمل هذا الكائن الإنساني. وهي تقتضي ألوانًا من النشاط الحيوي في عمارة الأرض، والتعرف إلى قواها وطاقاتها، وذخائرها ومكنوناتها، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها. كما تقتضي الخلافة: القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام. ومن ثم يتجلَّى أن معنى العبادة ـ التي هي غاية الوجود الإنساني أو التي هي وظيفة الإنسان الأولى ـ أوسع وأشمل من مجرد الشعائر، وأن وظيفة الخلافة داخلة في مدلول العبادة قطعًا، فمن مقتضيات استقرار معنى العبادة أن يقوم بالخلافة في الأرض، وينهض بتكاليفها، ويحقق أقصى ثمراتها» [3].

وهذا الكلام غاية في الخطورة فإذا كانت الغاية من الخَلْق والدين ـكما يعتقد قطبـالخلافةَ والعمارةَ، والعباداتُ الأصلية ـ التي هي أركان الإسلام ـ داخلة في تلك الغاية بالتبعيَّة لا بالأصالةً؛ فمن البديهيِّ إذا أن تفقد العبادات قيمتها الذاتية المستقلة،

(١) سورة الذاريات ، آية ٥٦.

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٠.

(٣) سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج ٦، ص٣٣٨٧.

وتنحطَّ عن منزلتها الرفيعة العالية، فتصبح الدعوة إلى إقامتها عملًا جزئيًّا غير ذي بالٍ، فالتبع لا قيمة له مع غياب المتبوع، والفرع لا قيام له مع سقوط الأصل.

وقد التزم سيد قطب هذا اللازم العقلي فذهب إلى أنه لو كانت حقيقة العبادة هي مجرد الشعائر التعبدية ما استحقَّتْ كل هذا الموكب الكريم من الرسل والرسالات، وما استحقت كل هذه الجهود المضنية التي بذلها الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم-، وما استحقت كل هذه العذابات والآلام التي تعرَّض لها الدعاة والمؤمنون على مدار الزمان! إنما الذي استحقَّ كل هذا الثمن الباهظ هو إخراج البشر جملة من الدينونة للعباد، وردهم إلى الدينونة لله وحده في كل أمرٍ، وفي كل شأنٍ، وفي منهج حياتهم كلِّه للدنيا والآخرة سواء. إن توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد القوامة، وتوحيد الحاكمية، وتوحيد مصدر الشريعة، وتوحيد منهج الحياة، وتوحيد الجهة التي يدين لها الناس الدينونة الشاملة؛ هذا التوحيد هو الذي يستحق أن يرسل من أجله كل هؤلاء الرسل، وأن تبذل في سبيله كل هذه الجهود وأن تحتمل لتحقيقه كل هذه العذابات والآلام على مدار الزمان، لا لأنَّ الله سبحانه في حاجة إليه، فالله سبحانه غني عن العالمين، ولكن لأن حياة البشر لا تصلح، ولا تستقيم، ولا ترتفع، ولا تصبح حياة لائقة بالإنسان إلا بهذا التوحيد الذي لا حدَّ لتأثيره في الحياة البشرية في كل جانب من جوانبها(١).

وبناءً على هذا جاءت كتب سيد قطب كلها مبنيَّة على التفسير السياسي للإسلام، وإذا وُجد له كلام يوافق في ظاهره المفهوم الصحيح للدِّين والعبادة عند أهل التوحيد والسنة وعامة المسلمين؛ فيجب أن يُحمل على هذا المفهوم الخاصِّ عنده، ويفسَّر في ضوئه، أعني قوله: الشعائر التعبدية لا تستغرق مدلول العبادة بل إنَّها تجيء بالتبعية لا بالأصالة.

هذه الرؤية الفلسفية لهدف الدين هي التي قرَّبت سيد قطب من الماركسية، وحملته على تبني المنهج الاشتراكي، وألَّف في ذلك كتابيه: «معركة الإسلام والرأسمالية»، و«العدالة الاجتماعية في الإسلام»، وسأذكر هنا مثالًا واحدًا من كلامه يؤكد ما سبق من صريح كلامه في جعل غاية الخلق إعمار الأرض، وجعل العبادة مقصدًا تبعيًّا وهامشيًّا: يقول سيد قطب في معالجة مشكلة فساد العمل وضعف الإنتاج: "إن الإسلام يعالجها بإزالة مسبباتها المادية الأولى، ثم يعالجها بامتلاء النفس بالعقيدة الدافعة، العقيدة التي تملأ فراغ النفس وخواءها، وترفعها إلى الله، وتجعل للفرد هدفًا أكبر من ذاته، هو ذلك المجتمع الذي يعيش فيه، وتلك الإنسانية التي هو منها..."(٢).

(١) المصدر السابق، ج ٤، ص١٩٠٣، ج٤ ، ص١٩٣٨.
(٢) سيد قطب، معركة الإسلام والرأسمالية، دار الشروق، بيروت، ط ١٣، ١٤١٤، ص ٤٩-٥١.

وهذا الاعتقاد في مفهوم الدِّين والعبادة تحريفٌ جذريٌّ لحقيقة الدِّين الإسلامي، والرسالة المحمدية، ولم يقل به من المنتسبين للإسلام إلا الغلاة من أصحاب الفكر المنحرف، حيث قام بتجديده وإعادة صياغته في العصر الحديث المودودي وتبناه قطب، فتبلور عنه ما يُعرف اليوم بالفكر الإسلامي والحركة الإسلامية.

ثالثاً/ أثر رؤية قطب للجهاد في تصوره للوطن والدولة:

انطلاقًا من نظرة قطب للمجتمع أسَّس تصوراته عن الوطن والدولة، والوطن بمفهومه ليس الوطن الدولة بالمفهوم الويستفالي الذي أسَّس لها على الحدود المدوَّنة في المواثيق الدولية بعد اتفاق ويستفاليا ١٦٤٨؛ بل هو مفهوم أوسع من ذلك؛ فالوطن في المفهوم الإسلامي لا حدود تظله، وطالما أن المجتمع المؤسَّس على رابطة العقيدة الإسلامية حاضر، فكل أرض يُظلَّها الإسلام هي وطن الجميع [١]. إذن العالم من خلال تصور قطب يُختصر في دولة واحدة، بعقيدة واحدة، لها جنسية واحدة اسمها العقيدة الإسلامية.

والأكثر جدلًا في تصور قطب عن الوطن أو الدولة، هو تقسيمه العالم بين دارين؛ دار الإسلام ودار الحرب. فدار الإسلام تهيمن عليها حاكمية الإسلام بمنهاجه، وتنتهي حدودها عندما لا يكون هناك حكم إسلامي، ومن ثَمَّ تبدأ من بعدها دار الحرب التي يوصِّف قطب العلاقة معها بعلاقة قتال أو عهد أمان لا يوجب قتالًا، بيد أنه أكَّد على أنه لا ولاء بين أهلها وبين المسلمين. ولا تزال نظرة قطب تثير جدل محتدم حتى اليوم نحو الدولة، حيث نجده يؤطرها بمفهوم مغاير لمفهوم الدولة القومية وإن لم يوضِّحه بالكلية، كما أنها محكومة بشريعة الإسلام، وليست دولة دينية ثيوقراطية على غرار دول القرون الوسطى، فلم يجعل قطب لرجال الدين سلطة على المسلمين، وليس عنده ما يؤسس لذلك من صميم الدين الإسلامي [٢].

ونرى أنه رغم ذلك لم يتضح لدى قطب أي نمط للدولة، بل ولم يُفرِّق بين الدولة في شكلها الحديث القُطري والدولة القديمة غير المحدودة، ولم يقدم نموذجًا واضحًا سهلًا يسهل على المتصوّر للحكم الإسلامي الذهاب نحوه، مما فرّق فكره بين الفرق الإسلامية والجماعات المتناحرة، وبينها جماعات وحركات إسلامية أعادت بناء تصوراتها تمامًا بما يتفق مع الدولة القومية الحديثة، ولم تكلف نفسها بالتفكير في نموذج نظام بديل عن التصور الكائن المهيمن، وبين جماعات حركات رأت في هدم النموذج الحالي للدولة القومية هدفًا أسمى. بلور الفهم غير الواضح لفكرة قطب عن الدولة نماذج متناقضة من حركات إسلامية ادّعت اتباع نهج سيد قطب، بعضها بدا متماهيًا مع نموذج الدولة القومية، وبعضها عاداها تمامًا.

(١) عبد العاطي أحمد، الحركات الإسلامية في مصر وقضايا التحول الديمقراطي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م، ص ٤٦.
(٢) سيد قطب ، في ظلال القرآن، ج٣ ، ص١٥٧٩.

رابعاً/ مراحل الجهاد من منظور قطب:

يستخلص قطب من مراحل الجهاد في الإسلام ما يسميه سمات أصيلة وعميقة في المنهج الحركي لهذا الدين [١]، والتي تنطبق على الأمس واليوم والغد، وتتلخص في أربعة سمات:

١ـ الواقعية الجِدِّية في منهج هذا الدين: فالدين حركة تواجه جاهلية اعتقادية تصورية تقوم على أنظمة واقعية تسندها سلطات، ومن ثم فإن المطلوب من الحركة الإسلامية أن تواجه هذا الواقع بأمرين: الدعوة لتصحيح التصورات، والقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها [٢].

٢ـ الواقعية الحركية: فالجهاد هنا حركة ذات مراحل، كل مرحلة مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية، ولذلك ينتقد قطب من يصفهم بالمهزومين روحيا وعقليا، ممن يجعلون الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع، في حين أن منهجه إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا، وتعبيد الناس لله وحده ... بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها [٣].

٣ـ الحركة الدائبة والوسائل المتجددة: لتحقيق هدف الدين وهو إخلاص العبودية لله؛ بالمعنى السياسي للعبودية.

٤ـ الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم، وسائر المجتمعات الأخرى: وهو ضبط يقوم على أن الإسلام لله هو الأصل العالمي؛ الذي على البشرية كلها أن تفيء إليه [٤].

وهذا ما أشار إليه قطب بتعليق موجز على قوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [٥]، بأن جعل غاية الجهاد هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد الإسلام في مكانها واستبدالها بها[٦]، ورأى أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظم الحكم في بلادها التي يسكنونها، أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع أنحاء الأرض[٧].

---

(١) سورة البقرة، آية ١٩٠.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٤٣٢.
(٣) المصدر السابق، ج ٣، نفس الصفحة.
(٤) المصدر السابق، ج٣ ، ص١٤٣٣.
(٥) سورة البقرة ، الآية ١٩٠.
(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٣، ص١٤٥١.
(٧) المصدر السابق، ج ٣، نفس الصفحة.

خامساً/عالمية دعوة قطب الجهادية:

يرفض سيد قطب حصر الجهاد في صورته الدفاعية وذلك لأن الجهاد مرتبطٌ بالإسلام والإسلام مرتبطٌ به، ورسالة الإسلام عالمية فهو إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد وهو الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها وهذا الإعلان لم يكن إعلانًا نظريًّا فلسفيًّا سلبيًّا إنما كان إعلانًا حركيًا واقعيًا إيجابيًا. ولذا فهذه الحركة لا تكتفي بالبيان في وجه السلطان المادي كما أنها لا تستخدم القهر المادي لضمائر الأفراد وهذه كتلك في منهج هذا الدين وبوصلة الجهاد هي تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة وجعل شريعة الله هي الحاكمة ثم ترك الجماهير تعتقد ما تشاء بعد رفع الضغط السياسي عنهم [١].

وتعتبر هذه النظرة للجهاد من أعظم الآليات التي تشتغل بها الأيديولوجيا؛ آلية التعميم التي توظفها الأيديولوجية الدينية لقطب حيث تأثر فيها بالمودودي الذي جعل من كل مسلم انقلابيًا، لأن الإسلام -كما يصوره المودودي -هو محض انقلاب [٢].

فغاية الجهاد عند قطب هي تحرير الإنسان من الطغيان السياسي والضغط الاجتماعي الذي يكرهه على عقيدة محددة أو أسلوب معين. ولفظ الإنسان هنا شامل لجميع البشر في كل مكان ومن مختلف الهويات الدينية والعرقية والاجتماعية. فهدف الجهاد هو تحطيم الأنظمة السياسية التي تقود المجتمعات بغير الهدي الإلهي والقوانين الربانية. وهنا ملمح هام جدًا ركز عليه قطب، وهو أن حرية الدعوة ليست أمرًا كافيًا لإيقاف الجهاد، حتى ينضم له رفع الإكراهات السياسية والاجتماعية، وذلك لأن الإسلام دين عملي يحمل منهجًا شاملًا للحياة بكافة جوانبها وليس فقط دينًا اعتقاديًا نظريًا، ولذا فبوصلة الجهاد هي تحطيم النظم السياسية غير الإسلامية. هذا من حيث التأصيل، أما من حيث التطبيق في الواقع المعاصر، فنصل إلى لب مفهوم الجهاد عند قطب، وإلى أحد أهم إسهاماته في التاريخ الحديث، وبالتحديد في حقبة ما بعد الاستعمار. الجهاد هو مشروع المقاومة الدينية للأنظمة السياسية القومية العلمانية الحاكمة في العالمين العربي والإسلامي. بشكل ملفت هنا، دمج قطب بين مفهومي الثورة الاجتماعية والجهاد الإسلامي، ووفر المسوغات والدوافع الدينية للثورة على البيروقراطية العلمانية الحاكمة (في فترة مبكرة جدًا من عمر دول ما بعد الاستعمار) [٣]، أو ما بات يعرف لاحقًا بالدولة العميقة.

---

(١) سيد قطب، معالم في الطريق، ص ٥٧-٦٢.

(٢) المودودي، الحكومة الإسلامية، ترجمة، أحمد إدريس، مؤسسة الأبرار الثقافية، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م، ص٤٤.

(3) John Calvert, "Sayyid Qutb and origins of Radical Islamism", oxford, ..(oxforduniversity press, 2013) , P. 4

لا شك أن هذه السردية تختلف كثيرًا عن التأصيلات المعاصرة لمعارضة الأنظمة السياسية انطلاقًا من النصح للحاكم أو الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو حتى الخروج على الحاكم الظالم. التكييفات الفقهية المذكورة لم تأخذ في الحسبان تغير النموذج paradigm shift السائد أو النقلة النوعية التي حدثت في مرجعية وهيكلة النظام السياسي الحاكم في عصور الاستعمار وما بعد الاستعمار واختلافه عن الصورة الموجودة في التاريخ الإسلامي. الأمر الذي دفع قطب لاستحداث تفسير جديد للجهاد يواكب الواقع غير المسبوق.

ومن ثم؛ أصل قطب لمعضلة هذه الأفكار التي تحمل طابعًا إطلاقيًّا، فكل مسلم هو مجاهد بالضرورة -عنده-، وإلا فإن إيمانه غير صحيح، فالمسلم الحقيقي هو المجاهد في سبيل الله من أجل القضاء على الجاهلية المعاصرة، وتأسيس المدينة الإلهية، وهذا قمة التطرف الفكري؛ لأنها دعوى أيديولوجية، لا تأخذ في اعتبارها اختلاف الأديان والعقائد والملل والثقافات، مادامت تقصي كل أنواع الاختلاف داخل العالم، وتعيد فكرة التوحيد من جديد، من أجل توحيد العالم وجعله مسلمًا بالقوة؛ لأن الإسلام كما يصوره دين انقلابي عدائي، وليس دين دعوة فقط .

وهذه الرؤية القطبية العالمية للجهاد التي لا تميز بين أنواع الجهاد وشروطه، والدعوة إلى الجهاد بإطلاق، أي الجهاد العالمي المسلح، لأن كل أمة جاهلية في نظره، مادامت لا تطبق شرع الله؛ قد سبقه إليها المودودي حيث تتميز أفكار المودودي -خاصة- فيما يتعلق بالحكومة الإسلامية والجهاد والجاهلية، بالتعميم ليس فقط على المجتمع الهندي الذي ظهرت فيه دعوته، ولا في الدول الإسلامية، بل إنه امتد بدعوته إلى أقصى مداها لتشمل العالم، وبالتالي فعلى حزب الله القائم بهذه الدعوة أن يسعى إلى الامتداد في كامل أرض المعمورة، وألا يكتفي بأرض دون غيرها[1].

سادساً / الإسلام والانقلاب الثوري:

يمكن القول بأن قطب لم يكتب نصوصًا ثورية غاضبة فقط، بل حاول -وفق سياقه-أن يؤسس لمنهاج يحوي تصوُّرا للمجتمع والدولة والأمة ويُدشَّن بداية منهجه من نقد الحداثة الغربية، ومن ثمَّ يتفاعل مع السياق العالمي الحاكم آنذاك فيواجه الشيوعية والرأسمالية وينتقد الأحوال الكائنة في بلاد المسلمين. بيد أن لغته الأدبية، ومفاهيمه الواسعة العصية على الوضوح تُركت لتأويلات واسعة تراوحت بين الاستسلام التام لمنظومة الدولة القومية، وبين تنظيمات عادت النظام العالمي تمامًا، ورأت فيه العدو والشيطان الأكبر الذي يوجب قتاله.

(١) المودودي، تذكرة يا دعاة الإسلام، كتاب منشور أونلاين بموقع مكتبة عين الحياة بدون رقم طبعة وسنة النشر، ص ٥.

أسَّس قطب لهذا المنهج، وخاض معه رحلة أخرى في ميدان السياسة جلبت عليه المصاعب أكثر من غيرها، والتي لاحقته حتى بعد موته وألقت عليه تهما بالإرهاب والتأصيل للعنف، وإن لزم الإنصاف فنصوص قطب الخطيرة، لا سيما كتابه الأبرز معالم في الطريق، لم تكتب قبل أن يُعتقل عام ١٩٥٤ ويلبث في السجن ١٠ سنوات كاملة، بل كُتبت داخله، وحتى عندما سيق إلى محكمة استثنائية عام ١٩٦٦ قضت بإعدامه، لم تكن الاتهامات الكبرى فكرية، بل سياسية. وترتب على هذه العقيدة السياسية القائدة عند قطب ثلاثة حقوق للبشرية هي:

١ـ أن تَبلغ البشريةَ الدعوةُ إلى المنهج الإلهي الشامل، وألا تقف عقبة أو سلطة في وجه التبليغ بأي حال من الأحوال.

٢ـ أن يُترك الناس -بعد وصول الدعوة-أحرارا في اعتناق هذا الدين؛ لا تصدهم عن اعتناقه عقبة أو سلطة.

٣ـ إذا اعتنق هذه الدعوة من هداهم الله إليها، كان من حقهم ألا يُفتنوا عنها بأي وسيلة: لا بالأذى ولا بالإغراء، ولا بإقامة أوضاع من شأنها صد الناس عن الهدى وتعويقهم عن الاستجابة[١].

ويترتب عن هذه الحقوق الثلاثة -عند قطب-أن ينشأ واجبان على الجماعة المسلمة:

أولهما: أن تدفع الجماعة عنهم -بالقوة-من يتعرض لهم بالأذى والفتنة؛ ضمانا لحرية العقيدة، وكفالة لأمن المهتدين، وإقرارا لمنهج الله في الحياة، وحماية للبشرية من الحرمان من الخير العام.

والثاني: أن تحطم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس، أو تهدد حرية اعتناق العقيدة وتفتن الناس عنها، وأنّ التجمعات (الأنظمة) التي لا تمكّن الإسلامَ من تنظيم حياة رعاياها -وفق التصور القطبي-"يتحتم على الإسلام أن يزيلها بوصفها معوقات للتحرر العام"[٢]. لأن الجماعة المسلمة مكلفة أن تظل تقاتل حتى تقضي على هذه القوى المعتدية الظالمة[٣]، وحتى تصبح الفتنة غير ممكنة لقوةٍ في الأرض.

هذا التصور -القطبي-يتأسس إذن على مفهوم سياسي للدين تندمج فيه مفاهيم الثورة والانقلاب؛ حيث يحوله قطب إلى مشروع راديكالي لتغيير العالم، ويربط فيه بين طبيعة هذا الدين السياسي وبين بواعث الجهاد وأهدافه، ولذا كان من الطبيعي أن يتسع مفهوم الجهاد لديه، وأن يصبح كفاحا انقلابيّا دائما، سواءٌ بالمعنى السياسي أم بالمعنى الاجتماعي، وسواء بالقوة أم بالبيان؛ إذ لا غنى لأحدهما عن الآخر لديه.

(١) المصدر السابق، ص٥٣-٥٤.
(٢) قطب، في ظلال القران، ج٣، ص١٤٤٣.
(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٣.

ومن صور الفتنة في الدين لدى قطب: إقامة أوضاع فاسدة من شأنها أن تضل الناس وتفسدهم وتبعدهم عن منهج الله وتزين لهم الكفر به أو الإعراض عنه[١]، وأن يُصرف الناس عن الدين بالقوة أو ما يشبهها؛ كقوة الوضع الذي يعيشون فيه بوجه عام[٢]. وسعة مفهوم الفتنة عن الدين عند قطب، تتردد بصيغ مختلفة، منها تلك العبارات العامة والشاملة كاشتراطه ألا تقف في وجه الدعوة عقبة أو سلطة ... بأي حال من الأحوال، وألا يُفتن الناس عن الدعوة بأي وسيلة: لا بالأذى ولا بالإغراء، ولا بإقامة أوضاع من شأنها صد الناس عن الهدى وتعويقهم عن الاستجابة[٣].

لذا نجد أن الشعوب جميعا من منظور قطب؛ تعيش في زمن الفتنة عن الدين؛ لأن مفهومه لكل من الدين والفتنة يشمل ذلك كله، ويترتب على هذا أن نكون في جهاد دائم؛ رتب واجباته على الجماعة المسلمة التي تقود إلى مثل هذا الجهاد الدائم واستعمال القوة والعنف.

يتأكد هذا التوسع في تنزيل قطب للمعاني السابقة على واقعنا؛ من خلال عدة نصوص، منها قوله: "النص عام الدلالة مستمر التوجيه، والجهاد ماض إلى يوم القيامة؛ ففي كل يوم تقوم قوة ظالمة تصد الناس عن الدين، وتحول بينهم وبين سماع الدعوة إلى الله والاستجابة لها عند الاقتناع...، ومن ثم فإن الجماعة المسلمة مكلفة في كل حين أن تحطم هذه القوة الظالمة وتطلق الناس أحرارًا من قهرها"[٤]، وعلى الجماعة المسلمة أن تقاتلهم وأن تقتلهم حيث وجدتهم[٥]، بل إن كل من يتعرض للفتنة في دينه والأذى في عقيدته في أية صورة من الصور، وفي أي شكل من الأشكال مفروض عليه أن يقاتل وأن يقتل، وأن يحقق المبدأ العظيم الذي سنه الإسلام[٦].

يبين قطب أن غاية القتال، مستمرة إلى أن يحمل الجميع على الدخول في الإسلام، فهو الذي غايته أن يرفرف لواء القانون الإلهي العدل على العالمين، وتعلو كلمته في الدنيا، بحيث يتبع المقاتل في سبيل الله ذلك القانون العدل نفسه، وكذلك يحمل غيره من أفراد البشر على اتباعه وامتثال أوامره[٧]. ونرى أن هذه الرؤية القطبية للجهاد من الخطورة بمكان؛ حيث يتهم الإسلام بجبر البشر أينما وجدوا على اتباع شريعة الله المنزلة، مخالفا بذلك نص القرآن وحكمة الله في وجود الكافرين ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[٨]. وهذا حكم عام، وهو بين واضح دلائله وبراهينه، بل من هداه الله

(١) المصدر السابق، ج١، ص١٨٩.
(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٨٦.
(٣) المصدر السابق، ج١، ص١٩٠.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر السابق نفسه.
(٦) المصدر السابق، ج١، ص١٩٠-١٩١.
(٧) سيد قطب، معالم في الطريق، ص٦.
(٨) سورة البقرة، آية ٢٥٦.

للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا، وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عاما [1].

وهذه الأطروحة نفسها هي التي تحاول جل الجماعات المتطرفة تطبيقها على أرض الواقع، لأن هذه المشاريع ترى العالم كأرض للثورة والانقلاب، على الرغم من أنها تبقى خطابًا طوباويًا، يصطدم دومًا بصخرة الواقع [2]؛ لأن الأساس النظري له قائم على فهم غير موضوعي للواقع، شكل بالأساس ردًّا انفعاليًّا، أكثر منه خطابًا عقلانيًّا واقعيًّا قابلًا للتطبيق، لذلك نجد الآليات الموظفة كآلية العنف والتفجير وظاهرة الذئاب المنفردة كآخر ورقة تلعب بها هذه الجماعات رهانها. فعدم فهم الواقع يظهر في أن أغلب الإسلاميين يعتبرون أنفسهم كأغلبية في العالم، في حين أنهم ليسوا سوى جزء من العالم.

(١) فخر الدين الرازي ، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، ج٧، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ، ص١٥. وكذلك ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص٦٨٣.

(٢) رشيد إيهُوم، المودودي مُنظِّر الحاكمية والجاهلية والدولة الإسلامية، مقال منشور بموقع مركز المسبار للدراسات والبحوث، بتاريخ١٠ مايو،٢٠١٨م، رابط الموقع: https://www.almesbar.net/ .

المبحث الثالث

تطور فكر قطب الجهادي من التنظير إلى التطبيق

يعتبر سيد قطب المكون الأساسي في نشأة التنظيمات الجهادية التي اعتمدت بشكل رئيس على كتاباته ومقولاته فكتاب معالم في الطريق، لسيد قطب هو أحد ركائز الجهادية، والذى اعتبر فيه قطب أن كل المجتمعات البشرية تعيش في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، وأن الجاهلية تظهر في تصورات الناس وعقائدهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وموارد ثقافتهم، وفنونهم وآدابهم، وشرائعهم وقوانينهم، ودعا في كتابه لتغيير هذا الواقع الجاهلي من أساسه وإزالة الطواغيت كلها من الأرض وتحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، وهذا يعد أساس التنظيمات الجهادية. وهو صاحب الجملة الشهيرة "وما الوطن إلا حفنة من تراب عفن"[(١)]، وهو الشخصية الأكثر جدلا داخل الجماعة، ويدين التيار الجهادي له بالولاء، بسبب كتبه وأقاويله حول الانعزالية وتكفير المجتمع.

يقول ستيفن كوك -الزميل لدى المجلس الأميركي للعلاقات الخارجية-في مقال له: "إن كل هؤلاء الرجال ينحدرون من جيل الإسلاميين المصريين الذين انفصلوا عن قيادة الإخوان المسلمين في الستينيات واعتنقوا فكر سيد قطب. ويشير إلى أن قطب في أعماله الرئيسة مثل في ظلال القرآن ومعالم في الطريق، ينزع صفة الإسلام عن جميع المجتمعات الإسلامية، ويعتبر أن المسلمين في جاهلية لأنهم يعيشون في بيئة تطغى فيها القوانين الوضعية على قوانين الله. فبالنسبة إليه ولأتباعه وأتباع الجماعات التي ذهبت وراءه، كان هذا الوضع بحاجة إلى تصحيح لإقامة مجتمع إسلامي، ومن أدوات تحقيق هذا الهدف الوعظ والإقناع والعنف؛ ففي العالم الأخلاقي لقطب يتحمل المسلمون مسؤولية حمل السلاح لتأسيس سيادة الله على الأرض"[(٢)].

وقد كان لتنظيرات قطب ورؤيته للجهاد -التي تدعوا إلى القضاء على نظم الحياة الجائرة بحد السيوف، وتأسيس نظام جديد على قواعد العدل والنصفة-أثر تطبيقي شارك فيه بنفسه ووضع لبناته الأولى قبل إعدامه، وترك آثاره المرة على المجتمعات من بعده، نبينها من خلال النقاط التالية:

---

(١) سيد قطب، معالم في الطريق، ص١٤٥.

(٢) نقلا عن إنجي مجدي، مقال بعنوان، كيف أصبح التكفيريون المصريون خزانا بشريا للإرهاب؟، نقلا عن موقعindependentarabia، تاريخ النشر، الأحد ١٤ أغسطس ٢٠٢٢، رابط الموقع :https //www.independentarabia.com/node ..... وانظرأيضًا:

_William E. Shepard, "Sayyid Qutb's Doctrine of "Jāhiliyya", (International Journal of Middle East Studies 35, no. 4, 2003), 521-45. Accessed May 26, 2020. www.jstor.org/stable/3879862.

أولًا/ تأسيس العصبة المؤمنة أو الطليعة الإسلامية:

من أجل خروج فكر قطب الجهادي من التنظير إلى التطبيق دعا قطب إلى تأسيس (الطليعة الإسلامية)، فقال قطب في جواب عن إشكال طرحه وأجاب عنه في عملية البعث الإسلامي: فكيف تبدأ عملية البعث الإسلامي؟ إنه لا بد من طليعة تعزم هذه العزمة، وتمضي في الطريق، تمضي في خضم الجاهلية الضاربة الأطناب، في أرجاء الأرض جميعا، تمضي وهي تزاول نوعا من العزلة من جانب، ونوعا من الاتصال الآخر بالجاهلية المحيطة [١]. وكان قطب يرتقب ظهور هذه الطليعة المرجوة المرتقبة ولذلك كتب كتابه معالم في الطريق [٢]، ومقدمة سورة الأنعام-من تفسير الظلال -ليكونا الأساس الفكري للطليعة الإسلامية [٣].

وتتمثل العصبة المؤمنة أو جماعة المسلمين أو الطليعة المؤمنة، عند سيد قطب، أساسا في تلك الصورة المصغرة للمجتمع المسلم الخالص من شوائب الجاهلية والمحتكر للفهم الحقيقي للإسلام. هذه العصبة، يفترض قطب، أنها تعيش وسط مجتمع جاهلي افتقد الهوية الإسلامية وأفلت عنه شمس الإسلام، وعليها أن تتحمل على عاتقها أعباء إعادة إحياء هذا الدين وإقامته وفق مبادئ الحاكمية المطلقة لله تعالى، وفق التعريف القطبي للعصبة المؤمنة. يقول سيد قطب: "إن هذا المجتمع لا يقوم حتى تنشأ جماعة من الناس تقرر أن عبوديتها الكاملة لله وحده، وأنها لا تدين بالعبودية لغير الله... هذه الطليعة لا بد لها من معالم في الطريق، معالم تعرف منها طبيعة دورها، وحقيقة وظيفتها، وصلب غايتها"[٤].

ومن هذا المنطلق؛ يطرح قطب سياقات تشكّل هذا البناء الحركي فيقول: "ينبغي أن تطول مرحلة بناء العقيدة، وأن تتم خطوات البناء على مهل، وفي عمق وتثبت، ثم هكذا ينبغي ألا تكون مرحلة دراسة نظرية للعقيدة، ولكن مرحلة ترجمة لهذه العقيدة -أولًا بأول-في صورة حية، متمثلة في ضمائر متكيفة بهذه العقيدة ومتمثلة في بناء جماعي وتجمع حركي"[٥].

ووفق التصور الفقهي والميداني لسيد قطب، فإن هذه الطليعة لا بد لها من معالم في الطريق، معالم تعرف منها طبيعة دورها، وحقيقة وظيفتها، وصلب غايتها، ونقطة البدء في الرحلة الطويلة...كما تعرف منها طبيعة موقفها من الجاهلية الضاربة الأطناب في الأرض جميعًا...أين تلتقي مع الناس وأين تفترق؟، ما خصائصها هي

(١) قطب، معالم في الطريق، ص١٢.
(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.
(٣) المصدر السابق، ص١٨٤.
(٤) سيد قطب، لماذا أعدموني، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، الرياض، ط٣، ١٩٩٠، ص٨.
(٥) المصدر السابق، ص٥.

وما خصائص الجاهلية من حولها؟، كيف تخاطب أهل هذه الجاهلية بلغة الإسلام وفيم تخاطبها؟، ثم تعرف من أين تتلقى -في هذا كله- وكيف تتلقّى؟ (١) .

ولا شك أن معالم الطريق، لهذه الطليعة طرحها قطب وفق ما يعتقده المنهج الرباني وكذا قِيم الحاكمية التي تبقى من صميم أصول الاعتقاد عند هذه العصبة، وأنها استقرت استقرارًا مكينًا ثابتًا في قلوب العصبة المختارة من بني الإنسان، التي قدر الله أن يقوم هذا الدين عليها، وأن تتولى هي إنشاء النظام الواقعي الذي يتمثل فيه هذا الدين (٢). وبهذا فهذه العصبة هي التي يطلق عليها اسم المجتمع المسلم...المجتمع الذي يصلح لمزاولة النظام الإسلامي في حياته الاجتماعية، لأنه قرر بينه وبين نفسه أن تقوم حياته كلها على هذا الأساس، وألا يحكم في حياته كلها إلا الله (٣).

وإجمالًا فإن العصبة المؤمنة هو نوع من الإسقاط العضوي للمرحلة المكيّة على الفقه الحركي لسيد قطب؛ حيث يرى أنه من اللازم أن تتشكل دولة إسلامية مصغرة تجسدها وتعبّر عنها جماعة المسلمين، لتنطلق بعدها إلى مرحلة التمدد الأفقي من خلال دخول من يعتقد أنهم مسلمين إلى صفوف الجماعة ليصل البناء إلى قمته مع استكمال العدة البشرية والإعداد المادي لمواجهة الطاغوت الأكبر الذي جسّده قطب في نظام جمال عبد الناصر وقام أتباعه بإسقاط هذه النظرية على باقي الحكومات التي تصنّف على أنها طاغوتية في نظرهم (٤).

ويعتبر هذا المصطلح ضمن المصطلحات التي أدت ليس للتطرف فحسب بل العنف والإرهاب والخروج على الثوابت الشرعية باسم الدفاع عن الحاكمية، ويبدو ذلك في التقتيل واستحلال الأعراض والأموال وغير ذلك من الأفعال التي يمكن إدراجها في قوائم الهمجية والجاهلية (٥).

فالطليعة المؤمنة هي النواة الأولى لبناء المجتمع المسلم القادر على مواجهة المجتمع الجاهلي، بعد استكمال مراحل إعداد العدة، غير أن موازين القوى وضرورة تحصين هذه العصبة المؤمنة من هجمات المجتمع الجاهلي، ومن كيد الأنظمة الطاغوتية-بتعبير قطب-، يتطلب نوعًا من العزلة النسبية والاتصال الحذر.

وفي سياق هذه العزلة الشعورية والاتصال الحسّي بين العصبة المؤمنة والمجتمع الجاهلي، تعتبر المواجهة مع هذا المجتمع والتصدي له مسألة حتمية، كما

---

(١) المصدر السابق، ص٣٦.
(٢) المصدر السابق، ص٢.
(٣) المصدر السابق، ص٥٣.
(٤) عبد الحق الصنايبي، العقيدة التكفيرية لسيد قطب بين الفكر والممارسة، مقال منشور بمركز شُرفات، بتاريخ ٢٤-فبراير-٢٠١٨م، رابط الموقع:http//www,shorufatcenter.com
(٥) د. عصمت نصار، مراجعات فلسفية في الفكر العربي الحديث، دار النشر نيوبوك، القاهرة، ط١، ٢٠١٨ ، ص٢٤٠.

يصرح بأن المعركة قد قامت بين المجتمع الوليد الذي انفصل بعقيدته وتصوره، وانفصل بقيمه واعتباراته، وانفصل بوجوده وكينونته عن المجتمع الجاهلي وتكون الحركة من نقطة الانطلاق إلى نقطة الوجود البارز المستقل قد ميزت كل فرد من أفراد هذا المجتمع"[١].

وعلى هذا المستوى؛ يعتبر سيد قطب العزلة الشعورية؛ نقلة بعيدة للمسلم من الجاهلية إلى الإسلام؛ حيث كانت هناك عزلة شعورية كاملة بين ماض المسلم في جاهليته وحاضره في إسلامه، تنشأ عنها عزلة كاملة في صلاته بالمجتمع الجاهلي من حوله وروابطه الاجتماعية[٢].

يخلص قطب -بهذا المنطق-إلى كون العصبة المؤمنة مطالبة بنوع من العزلة الشعورية فقط مع مواصلة الاتصال الحسي، في انتظار إنضاج الشروط الذاتية والموضوعية للمواجهة. إلا أن هذا الطرح كان أول من خرقه هو سيد قطب نفسه، حين قرر مباشرة بعد خروجه من السجن سنة ١٩٦٤م، تكوين هياكل العصبة المؤمنة، وإعلان المواجهة الشاملة مع نظام عبد الناصر، الشيء الذي عجل بإعدامه.

ولعلَّ مفهوم العزلة الشعورية هو ما لقي عدة تفسيرات منها أن تكون العزلة مادية وجسدية عن المجتمع، فتلقّفته بعض الحركات الإسلامية وابتعدت عن المجتمعات ومارست بحقها التكفير، وظنَّت في نفسها الجيل المرسل الذي لابد أن يمارس عزلته لكي يخرج على الجاهلية ويعلن حكم الإسلام، مثلما فعلت جماعة التكفير والهجرة بقيادة شكري مصطفى، وجماعات تكفيرية أخرى ظهرت في نهايات القرن الماضي، كان ولازال مفهوم العزلة الشعورية غامضًا كغيره من مفاهيم قطب التي تُركت لتفسيرات تراوحت بين عداء المجتمع، وممارسة التفضّل عليه.

ثانياً/ قطب وتنظيم ١٩٦٥:

انتهج قطب بعدئذ تحولا آخرا نحو الكتابات الثورية التي نظَّرت للتحرُّر من الاستبداد بعد تأسيس العصبة المؤمنة لتغيير المجتمع الجاهلي نحو التحرر الإسلامي المبني على التوحيد. ففي كتابه الأشهر والأكثر إثارة للجدل معالم في الطريق، وتفسيره للقرآن في ظلال القرآن الذي استكمله قبل إعدامه، بدأ قطب مرحلة جديدة وأخيرة من حياته بعد أن أعيد اعتقاله مرة أخرى عام ١٩٦٥ لمحاولة قلب نظام الحكم عبر تنظيم سري من داخل الإخوان المسلمين عُرف إعلاميًا باسم تنظيم ١٩٦٥.

فبعد أن أثار سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م على يد مصطفي كمال أتاتورك ردة فعل عكسية لدى الأمة الإسلامية، ظل حلم الخلافة الإسلامية يراود مجموعة من الأشخاص والتنظيمات من أجل إعادة إحياء هذا الواجب الديني -في

(١) سيد قطب، معالم في الطريق، ص ٣٦.
(٢) المصدر السابق، ص٢٤.

اعتقادي-، خاصة أن البلدان الإسلامية اعتادت على وجود دولة الخلافة بالمشرق، رغم اللامركزية الترابية التي كانت تعيشها مختلف الولايات الخاضعة للسلطة الدينية والزمنية للخليفة. وهذا الحلم، ولا شك، راود مخيلة سيد قطب كما راوده حلم الزعامة الذي ظل هاجسه منذ الطفولة، من خلال مواجهة النظام المصري، ومحاولة إسقاطه بلغة العنف والتفجير والإرهاب.

وفيما يلي شهاداة قطب على حيازة عصبته الأسلحة والمتفجرات والتدرب عليها. يقول سيد قطب وهو يتحدث عن مجموعة من الإخوان الذين سوف يقودهم فيما بعد - ويعرف بتنظيم ٦٥: "وأما السلاح فكان موضوعه له جانبان: الأول: أنهم أخبروني، أنه نظرًا لصعوبة الحصول على ما يلزم منه حتى للتدريب، فقد أخذوا في محاولات لصنع بعض المتفجرات محليًّا، وأن التجارب نجحت وصنعت بعض القنابل فعلًا، ولكنها في حاجة إلى التحسين والتجارب مستمرة...الثاني: أن علي عشماوي زارني -قبل أن ينشق عن الجماعة- على غير ميعاد، وأخبرني أنه كان منذ حوالي سنتين قبل التقائنا، قد طلب من أخ في دولة عربية قطعًا من الأسلحة، وحددها له في كشف، ثم ترك الموضوع من وقتها، والآن جاءه خبر منه أن هذه الأسلحة سترسل - وهي كميات كبيرة حوالي عربية نقل - وأنها سترسل عن طريق السودان مع توقع وصولها في خلال شهرين... وتقرر تكليف علي -عشماوي- بوقف إرسال الأسلحة من هناك، حتى يتم الاستعلام من مصدرها عن مصدر النقود التي اشتريت بها، فإن كان من غير الإخوان ترفض، والاستفهام كذلك عن طريق شرائها دفعة واحدة أو مجزأة وطريقة إرسالها وضمانات أنها مكشوفة أم لا؟ وبعد ذلك يقال للأخ المرسل ألا يرسلها حتى يخطره بإرسالها، ومضى أكثر من شهر -على ما أتذكر -حتى وصل للأخ علي عشماوي ردٌّ مضمونه الباقي في ذاكرتي: أن هذه الأسلحة بأموال إخوانية من خاصة مالهم، وأنهم دفعوا فيها ما هم في حاجة إليه لحياتهم تلبية للرغبة التي سبق إبداؤها من هنا وأنها اشتريت وشحنت بوسائل مأمونة..."[١].

أما عن بداية هذا التنظيم فقد ارتأت الأمانة التاريخية والمنهجية في النقل والتحليل أن تكون مصادرنا لسرد حيثيات هذا التنظيم -القطبي-مختلفة من حيث الانتماءات التنظيمية والمؤسساتية، ومن هنا سنحاول التطرق لهذا التشكّل العنيف من خلال شهادة زعيمه الروحي والحركي سيد قطب، وكذا أحد أبرز مؤسسيه وهو علي عشماوي الذي كان يلعب دورا مركزيا في تبلور فكرة التنظيم وتدريبه -قبل أن ينشق عن الإخوان-، دونما إغفال للنظرة الأمنية متمثلة في رواية فؤاد علام اللواء السابق في جهاز المخابرات المصرية الذي يسرد قصته مع التنظيم في كتابه «الإخوان ...وأنا»[٢].

(١) سيد قطب، لماذا أعدموني، ص٤٨-٤٩.
(٢) فؤاد علام، الإخوان وأنا من المنشية إلى المنصة، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص ١٢٣.

يُقر سيد قطب أنه مباشرة بعد خروجه من السجن، قامت بالاتصال به النواة الأولى لتنظيم ١٩٦٥م حيث يصرح بأن هذه كانت الصورة المتكاملة في تصوري لأية حركة إسلامية حاضرة، ولكن حدث أن التقيت بعد خروجي على التوالي بالشبان الآتية أسماؤهم: عبد الفتاح إسماعيل [١]، على العشماوي، أحمد عبد المجيد [٢]، ...وعلمت منهم بعد لقاءات متعددة أنهم يكونون بالفعل تنظيمًا يرجع تاريخ العمل فيه إلى حوالي أربع سنوات أو أكثر [٣]. ويسترسل قطب بالقول: "...ولكنهم لم يجدوا حتى الآن قيادة لهم، وهم يريدون أن أتولى أنا هذا بعد خروجي، ذلك أنهم بعد أن قرأوا كتاباتي وسمعوا أحاديثي معهم قد تحولت أفكارهم وتوسعت رؤيتهم إلى حد كبير. وقد كانوا يفكرون من قبل على أساس أن المسألة مسألة تنظيم مجموعة فدائية لإزالة الأوضاع والأشخاص التي ضربت جماعة الإخوان المسلمين وأوقفت دعوتهم، وإقامة الجماعة وإقامة النظام الإسلامي عن هذا الطريق"[٤].

وقد رأى سيد قطب في هؤلاء الشباب تحقيقا لرغبة نفسية غزت مشاعره منذ أيام شبابه، ويبدو أن صورة أستاذه عباس محمود العقاد ظلت راسخة في مخيلته. فأصبح له أتباع ومريدين هو بينهم الآمر الناهي وهو المنظر والأب الروحي لهم، الشيء الذي دفعه إلى تبني أفكارهم ومحاولة تكييفها مع طريقة تفكيره وقراءته للواقع السياسي في مصر آنذاك. يقول سيد قطب: "وكنت أمام أمرين: إما أن أرفض العمل معهم...وهم لم يتكونوا على النحو الذي أنا مقتنع به، فلم يتم تكوين الأفراد وتربيتهم وتوعيتهم قبل أن يصبحوا تنظيمًا وقبل أن يأخذوا في التدريب الفعلي على بعض التدريبات الفدائية. وإما أن أقبل العمل على أساس إدراك ما فاته من المنهج الذي أتصوره للحركة وعلى أساس إمكان ضبط حركاتهم...وقررت اختيار الطريق الثاني والعمل معهم وقيادتهم"[٥].

---

(١) (عبد الفتاح إسماعيل، هو أحد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، ولد في العام ١٩٢٥ في كفر البطيخ بمحافظة دمياط، وكان يعمل تاجرًا للحبوب والغلال. وهو منن الذين تم فيهم تنفيذ حكم الإعدام في ٢٩ أغسطس من العام ١٩٦٦ بعد محاكمته أمام محكمة عسكرية استثنائية بقيادة اللواء محمد فؤاد الدجوى بعد اعتقاله ضمن آلاف من الإخوان في القضية التي عرفت بـ"إعادة إحياء تنظيم الإخوان المسلمين) في العام ١٩٦٥ وكان على رأس القضية سيد قطب والذي أُعدم معه في نفس اليوم. ينظر في ترجمته: زينب الغزالي، أيام من حياتي، دار الشروق، مصر، ط١ ،١٩٨٢م، ص١٤٢.

(٢) (أحمد عبد المجيد، هو أحمد عبد المجيد عبد السميع من الرعيل الأول للإخوان المسلمين وأحد تلاميذ سيد قطب المقربين والمتأثرين به، ولد في قرية كرداسة عام ١٩٣٣م، وأكمل مسيرته التعليمية حتى حصل على ليسانس الحقوق، توفي في ٢٨/ ١٠/ ٢٠١٢م الموافق ١٢ ذو الحجة ١٤٣٣هـ). ينظر في ترجمته: زينب الغزالي، أيام من حياتي، ص١٤٤.

(٣) سيد قطب، معالم في الطريق، ص١٣.

(٤) المصدر السابق، ص٢٢.

(٥) المصدر السابق، ص٣٠.

غير أن على عشماوي -وهو من مؤسسي التنظيم- يحكي القصة مختلفة، إلى حد ما عن رواية سيد قطب، فيشير إلى أن هذا الأخير هو من قام باستدعائهم، حيث يصرح بالقول "بعد خروج الأستاذ سيد قطب من السجن تم استدعاؤنا أنا والشيخ عبدالفتاح إسماعيل للقائه، ذهبنا إليه، سألنا عن أحوالنا، وسألناه عن حال السجون، وأخبرناه موجزًا، عما نحن فيه، وطلبنا منه أن يتابع العمل معنا، فوافق على شرط أن نعطيه فرصة كي يستأذن الأستاذ الهضيبي -المرشد الثاني للإخوان- في هذا الأمر... التقينا في منزله بحلوان، وكان حديثه معنا في البداية حديث مجاملات، ثم أخبرنا بزيارته لمنزل المرشد، وأنه استأذنه في العمل معنا، فأذن له"[١].

وتذكر لنا الرواية الأمنية على لسان اللواء فؤاد علام قصة اتصال سيد قطب بالتنظيم الوليد كالتالي: "في هذه الفترة، أي أوائل سنة ١٩٦٤م، كانت تتردد على منزل زينب الغزالي حميدة قطب -شقيقة سيد قطب-، والتقت حميدة قطب ببعض أفراد التنظيم بالمنزل المذكور، وقد تحدثوا معها في أن تقوم بتبليغ سيد قطب...وقد صادف ذلك هوى لدى سيد قطب الذي كان يقوم بهذا العمل داخل السجن، وبدأ يرشدهم عن البرامج الدراسية، كما بدأ يكتب لهم منشورات تتضمن آراءه واتجاهاته الفكرية والسياسية وتقوم حميدة قطب بتوصيلها إلى زينب الغزالي حيث يقوم قادة التنظيم بنسخها وتوزيعها على أفراد التنظيم، وقد تضمنت تلك المنشورات أفكاره المنحرفة التي جمعها بعد ذلك مع فصول أخرى في كتابه معالم في الطريق"[٢].

وكانت فكرة تنظيم سنة ١٩٦٥م تدور حول ضرورة توجيه ضربة رادعة للنظام كردّة فعل عما حدث للإخوان الذين لازال جزء كبير منهم يلعق جراحه داخل زنازين عبد الناصر، وكان هذا التنظيم يبحث عن مصوغات شرعية لتوجيه هذه الضربة، فوجدها عند سيد قطب مطبوخة وجاهزة. يفتي سيد قطب فيقول: "وكان أمامنا المبدأ الذي يقرره الله سبحانه: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾[٣]، وكان الاعتداء قد وقع علينا بالفعل في سنة ١٩٥٤م وفي سنة ١٩٥٧م بالاعتقال والتعذيب وإهدار كل كرامة آدمية ثم بالقتل وتخريب البيوت وتشريد الأطفال والنساء"[٤].

وتكاد تجمع الروايات عن كون تنظيم سيد قطب بدأ يستعد لتوجيه ضربته للنظام بعدما انتهى من تحديد الأهداف المزمع ضربها، في حالة تعرضهم للاعتقال هم أو باقي الإخوان المسلمون من التنظيم المدني، وهنا يقرر سيد قطب أن "هذه الأعمال

(١) علي عشماوي، التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، دار الهلال، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م، ص١٦٨.
(٢) علام، الإخوان وأنا، ص١٢٣.
(٣) سورة البقرة ، آية ١٩٤.
(٤) سيد قطب، لماذا أعدموني؟، ص٣٥-٣٦.

هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم بإزالة رؤوس في مقدمتها رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ومدير مكتب المشير - يقصد عبد الحكيم عامر- ومدير المخابرات ومدير البوليس الحربي، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشل حركة مواصلات القاهرة لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها كمحطة الكهرباء والكباري"[١].

وقد زرع سيد قطب في أفراد التنظيم الجديد مبادئ التكفير والحكم بجاهلية المجتمع ورسم لهم صورة قاتمة حول المجتمع الذين يعيشون فيه وأوحى لهم بضرورة اعتزاله بل ومجاهدته حتى (تكون كلمة الله هي العليا) وتكون الحاكمية والسلطة لله وحده، هذا الاعتقاد الجديد استقبله أفراد التنظيم بانبهار شديد جعلهم يتشربون أفكار التكفير التي تشبّع بها سيد قطب. ويصف لنا عليّ عشماوي هذا الإحساس فيقول: "كان هذا الأمر جديدًا علينا بهذا الفهم، فإنه يؤدي، حين تتعمق فيه وتسير على دربه، إلى أن تستشعر أنك بعيد عن عقيدة الناس، وأن الناس قد بعدوا عن دينهم وتستطيع الإحساس بأنك في واد وهم في واد آخر، وأنهم فعلًا ليسوا بمسلمين ويترتب على هذا الإحساس أمور كثيرة وخطيرة منها اعتبار الناس كفرة، ويترتب على ذلك ألا تأكل ذبيحتهم وألا تتزوج منهم، وأن تعتزلهم، وأن تستبيحهم ... إلخ" [٢].

وعلى المستوى التنظيمي، بدأ التنظيم بهيكلة صارمة وتم إحداث فرق متخصصة في تجميع المعلومات وقراءة المشهد السياسي وأخرى بدراسة الكتب والقصص البوليسية ومشاهدة الأفلام المتصلة بالجاسوسية، كما كُلف آخرون بترجمة البحوث، فترجم بحث عن تحضير مادة النتروجلسرين الناسفة محرَّر باللغة الفرنسية، كما ترجم كتاب عن المصارعة اليابانية، وقام بعض أفراد التنظيم بتدريب أعضائه على استعمال السلاح والمتفجرات والقنابل، وقدّم بعض المهندسين الكيميائيين بحوثا عن المواد الناسفة، بينما قام آخرون بتحضير مثل هذه المواد [٣].

وهذه الحالة من الاستنفار التي زرعها سيد قطب، وهذه الرغبة في المواجهة، تولدت من قناعة عميقة لدى أفراد هذا التنظيم بكفر المجتمع وخروجه عن جادة الإسلام وطريق الحق، مستلهمين ذلك من التأصيلات التكفيرية التي تشربوها على يد سيد قطب، وفي هذا الإطار يقول علي عشماوي: "مما ترتب على هذا أحيانًا، حين كنا ننزل بتلك الأفكار على إخواننا، أن جاءني أحد الإخوان وقال لي إنه سوف يرفض أكل ذبيحة المسلمين الموجودين حاليًا، فذهبت إلى الأستاذ سيد قطب وسألته عن

(١) المصدر السابق، ص٣٥.
(٢) عشماوي، التاريخ السري لجماعة الإخوان، ص١٧٣.
(٣) المرجع السابق، ص١٧٤.

ذلك فقال : دعهم يأكلوها، فليعتبروها ذبيحة أهل كتاب فعلى الأقل المسلمون الآن هم أهل كتاب"[١].

ومن الفتاوى الطريفة التي تُروى على لسان عليّ عشماوي، تلك التي سردها بالقول: ذات مرة أخرى جاءني أحد الإخوان يقول: إننا مازلنا نعمل على إقامة الدين وإقامة جماعة إسلامية على الأصول الشرعية، فلابد أن نقيم الحد فيما بيننا، أي أن نجلد الزاني أو نرجمه إن كان متزوجًا، أن نجلد شارب الخمر، وأن نجلد رامي المحصنات، واستشعرت أننا مقبلون على خطر لسنا أهلًا له، فذهبت للأستاذ سيد قطب مرة أخرى أسأله النصيحة فقال لي: قل لهم إن إقامة الحدود مشروطة بالسيطرة على الأرض، فلا حدود بدون دولة، ولا دولة بدون أرض، ما دمنا غير مسيطرين على الأرض لا نستطيع أن نقيم الحدود[٢].

وقد أصبح تطرف هذه الأفكار نتاجا لحقن التطرف التي غزا بها سيد قطب أفكار هؤلاء الشباب الذين فرض عليهم فرضا الاعتكاف على دراسة كتب تنحو إلى التطرف والانعزال، يذكر منها علي عشماوي كتاب هل نحن مسلمون-لمحمد قطب-، العدالة الاجتماعية في الإسلام-لسيد قطب-، معالم في الطريق-لسيد قطب-، الغارة على العالم الإسلامي -لـ ألفريد لوشاتليه فرنسي -، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر -لـ محمد محمد حسين-، الإسلام في طور جديد للأستاذ حسن البنا، والإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه -لـ عبد القادر عودة-"[٣].

وتأسس التنظيم الذي تزعمه سيد قطب وضم في مجلس قيادته كلا من: عبد الفتاح إسماعيل وعلي عشماوي وأحمد عبد المجيد وصبري عرفة ومجدي عبد العزيز، حيث أنيط كل عضو من هؤلاء بمسئوليات نوعية وإقليمية. غير أن العشوائية في التخطيط وغياب الرسم التكتيكي للمعركة وكذا الاستهانة بقوة النظام العسكري المصري، بالإضافة إلى الشخصية التي تميز بها سيد قطب، على اعتباره أديبا وناقدا لا يتميز بسمات القيادة الكاريزمية، حدّت بشكل كبير من فاعلية هذا التنظيم، وتم اعتقال معظم قادته، الذين تلقوا أحكاما متفاوتة، انتهت بالحكم بالإعدام على كل من زعيم التنظيم سيد قطب وشركاؤه في الفكر والقيادة التنظيمية محمد يوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل بتاريخ ٢١ أغسطس ١٩٦٦، ليتم تنفيذه ليلة ٢٩ من نفس الشهر.

وكان إعدام سيد قطب يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٦م، بمثابة إعلان ميلاد التنظيمات -التكفيرية التي ترفع شعار الجهاد-التي تثير الفوضى والجدل، وبهذا الإعدام أصبح سيد قطب بمثابة الأب الشرعي الذي تستمد منه هذه التنظيمات مصوغاتها الشرعية في التكفير ومواجهة الأنظمة الحاكمة.

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٢) المرجع السابق، ص١٩٣.
(٣) المرجع السابق، ص١٩٤.

وبذلك دخل سيد قطب التاريخ باعتباره الرائد -الثاني-المؤسس لأفكار الجاهلية والتكفير في مصر والعالم الإسلامي -بعد المودودي-، وحتى المجتمعات العربية التي عرفت الخوارج وغيرها من الفرق المتطرفة استطاعت التحكم فيها إما بالاحتواء أو الاستئصال، إلى أن هلَّ هلال المودودي وقطب بأفكار الجاهلية والحاكمية، والتي تم اعتمادها كدستور للحركات التكفيرية التي تدعي كونها (جهادية)، وأعطاهم سيد قطب مُصوغات التكفير واستحلال الدماء والأموال والأعراض.

وقد رفض قطب التراجع عن أفكاره هذه مقابل العفو عنه ليتم إعدامه ورسمت له صورة بطولية أبرزته كمفكر ثوري متمسك بمبادئه يمزج بين التنظير والحركة العملية، وتحول قطب إلى أيقونة للقوى الإسلامية الراغبة في التغيير في أنحاء العالم، كما أصبح مجرد الاطلاع على كتبه تهمة في جل الدول التي يتواجد بها مسلمون.

ثالثاً/ أثر رؤية قطب في خوارج العصر:

أثرت كتابات قطب على البيئة السياسية والفكرية والحركية -في حياته وبعد وفاته-، وحدود تأثير هذه الكتابات، وتعدِّيها مرحلة التنظير إلى مرحلة الممارسة، وذلك على هيئة جماعات إسلامية متنوعة ادَّعت تبنِّي ما أسمته منهج قطب الحركي، وتطبيقه على هيئة تنظيم جهادي[1] ، وحركات قُطرية وعالمية، وأثَّرت تأثيرا واضحا في مجريات السياسة الدولية؛ حيث ترعرعت جل الجماعات على تأويلات وكتابات قطب منذ سبعينيات القرن الماضي، والذي بدأ يأخذ شكل جماعات وحركات تستخدم العنف وسيلة للتغيير وتقوم على تكفير مخالفيها، وامتدّ ذلك إلى ما نسبوه لسيد قطب من مسؤولية عن أحداث كُبرى حدثت بعد موته بعقود؛ حيث وضع قطب إطارا يرسم الحدود بين من يتبنون الإسلام كمنهج وشريعة وعقيدة وبين غيرهم، ورفض قطب الالتقاء في منتصف الطريق مع المناهج الأخرى، وركزت أفكاره الثورية على المفاصلة المنهجية والعقدية مع الآخرين وليس على مساحات التقاطع والتشابه، وهو ما أكد عليه في العديد من كتبه مثل معالم في الطريق ، وهذا الدين، وخصائص التصور الإسلامي ومقوماته، كما استفاض فيه في كتابه الأضخم في ظلال القرآن[2].

---

(١) (ويجب أن نشير هنا إلى اختلافنا مع من يطلق على هذا التنظيم الإرهابي الإجرامي بالسلفية الجهادية، لأن هذا الاسم شرف ومكانة لهؤلاء لا يستحقونها لأمرين ، أولهما /أن السلفية الحقه المتمثلة في خير القرون - بدءا بعصر النبوة ثم العصر الذي يليه ثم الذي يليه- بريئة من هذه الأفكار الهدامة المتطرفة المخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول هذا أولا، أما ثانيا فنسبة كلمة الجهاد لأصحاب هذا الفكر الإرهابي المتطرف كنسبة العفة إلى الساقطة، لأن الجهاد الحق له شروط وضوابط وآليات لا يتم إلا بها كأن يكون تحت راية وإمرة ولاة الأمر –رئيس البلاد- وهؤلاء عندهم الجهاد الأكبر محاربة ولاة الأمور ومن أيدهم والحكم عليهم بالكفر والطغيان).

(2) Gilles Kepel, Terreur dans l'Hexagone: Genèse du Djihad Français, Gallimard, Paris, (2016) pp. 174–75.

وانتهى المطاف بأفكار سيد قطب إلى فتح باب التشريع للقتال واستخدام العنف في الداخل الإسلامي، فقد اكتسبت نظريته عن الحاكمية التي نقلها عن المودودي مضمونًا تكفيريًا حادًا، فاعتنقت معظم التيارات الإسلامية الحركية مفهومها للمجتمع الجاهلي والحاكمية الإلهية، وأضافت عليها وعمَّقت أبعادها وأكسبتها طابعًا جهاديًّا.

وكانت هناك -لدى شباب العنف-تلك الأحكام التي انتهى إليها سيد قطب التي قطع فيها: "بأن وجود الأمة الإسلامية قد انقطع منذ انقطاع الحكم بالشريعة الله من فوق ظهر الأرض جميعًا... ولذلك فالمسألة في حقيقتها هي مسألة كفر وإيمان، مسألة شرك وتوحيد، مسألة جاهلية وإسلام، وهذا ما ينبغي أن يكون واضحًا [١].

وأمام هذه الأحكام التي حكمت على الحضارة والتاريخ والثقافة والمدنية بالجاهلية، وعلى الأمة والإسلام بالانقطاع منذ قرون، لم يكن لدى الشباب الذي استند إليها ليصوغ نظرية العنف في التغيير، لا القدرة ولا الجرأة على اتخاذ موقف نقدي من هذه الأحكام[٢].

والواقع أن الخطاب القُطبي لعب دورًا مهمًّا وسط التيارات الإسلامية، فتأثرت به العديد من الجماعات والتنظيمات التي تبنت كثيرًا من مضامين هذه الرؤية ورأت أن الإسلام دعوةٌ متجاوزة للقوميات والعرقيات، والواجب يقتضي محاربتها، رافعة شعار الدولة الإسلامية، ومن هذه الجماعات والتنظيمات:

١ـ جماعة التكفير والهجر:

عقب ثورة ١٩٥٢ وإقصاء جماعة الإخوان المسلمين، انقسمت جماعة الإخوان إلى تيار سلمي -في الظاهر-بقيادة حسن الهضيبي، وتيار ثوري بقيادة سيد قطب، ونمت الجبهة الثورية بفعل الحكم السلطوي الذي مارسه عبد الناصر، والذي انتهى بالقضاء على قطب نفسه عام ١٩٦٦، وفي عام ١٩٦٩ بدأ الكشف عن جماعة التكفير والهجرة[٣].

نشأت هذه الجماعة في بادئ الأمر داخل السجون المصرية، وبعد إطلاق سراح أفرادها تبلورت أفكارها وكثر أتباعها في صعيد مصر، وبين طلبة الجامعات بخاصة. وقد رفضت موقف السلطة وأعلنت كُفر رئيس الدولة ونظامه، بل عدُّوا الذين أيدوا السلطة من إخوانهم مُرتدين عن الإسلام ومن لم يكفرهم فهو كافر، والمجتمع بأفراده كفار لأنهم موالون للحكام، ومن ثم فلا ينفعهم صوم ولا صلاة. وكان إمام هذه

(١) سيد قطب، معالم في الطريق، ص٨.

(٢) محمد عمارة، الفريضة الغائبة، جذور وحوارات.. دراسات.. ونصوص، نهضة مصر للنشر والتوزيع، ط١، ص١٢

(٣) أحمد سالم، وعمرو بسيوني، ما بعد السلفية. قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر، مركز نماء للبحوث والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٨، ص٥١٥

الفئة علي إسماعيل .وقد صاغ مبادئ العزلة والتكفير لدى الجماعة ضمن أطر شرعية حتى تبدو وكأنها أمورًا شرعية لها أدلتها من الكتاب والسنة ومن حياة الرسول -ﷺ- في الفترتين المكية والمدنية، متأثرًا في ذلك بأفكار سيد قطب[١] .

تولى قيادة الجماعة داخل السجن بعد عليّ إسماعيل، شكري مصطفى، وبعد أن أُفرج عنه عقب مجيء السادات بدأ التحرك في مجال تكوين الهيكل التنظيمي لجماعته، مُثقَّلًا بأفكار سيّد قطب ناقمًا على نظام الحكم الذي نكَّل بهم سجنًا وتعذيبًا وحشيًّا، ولذلك بويعَ أميرًا للمؤمنين وقائدًا لجماعة التكفير والهجرة وفق زعمهم. فعَين أمراء للمحافظات والمناطق واستأجر عديدًا من الشقق لتكون مقارًا سرية للجماعة بالقاهرة والإسكندرية والجيزة وبعض محافظات الوجه القبلي. وأمر بخروج أعضاء الجماعة إلى المناطق الجبلية بعد بيع ممتلكاتهم فيما يُسمّيه شرط الهجرة قبل الجهاد، وأخذت الجماعات تتدرَّب في معسكرات عقائديّة وعسكرية، وهذه الهجرة يبدو أنّها كانت تطويرًا لفكرة العزلة والإنفصال عن المجتمع الجاهلي التي نادى بها سيّد قطب[٢] .

كان من أهم أدبيات هذه الجماعة ومرجعيتها الفكرية والعقدية وثيقتا الاعتراف والخلافة اللتان تنصان على كُفر المجتمع، وتهدف إلى إعادة بناء جديد له من طريق مرحلتين: مرحلة الهجرة، وهي الاعتزال في الكهوف والصحراء، وبناء يثرب المعاصرة أو مجتمع المدينة، الذي أتاح للمسلمين فتح مكة . فلم يكن التنظيم في مرحلته الأولى يبغي سوى الهجرة، ولم يكن مسموحًا له بقتال أحد حتى تأتي ساعة التمكين بعد تكوين العاصمة يثرب[٣] .

ويُعد التكفير عنصرًا أساسيًّا في أفكار هذه الجماعة ومعتقداتها. فهم يُكفرون كلَّ من أرتكب كبيرة وأصرَّ عليها ولم يتب منها، وكذلك يُكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل، ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضًا بإطلاق ودون تفصيل، أما العلماء فيكفرونهم لأنهم لم يكفروا هؤلاء ولا أولئك، كما يُكفرون كلَّ من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم ويبايع إمامهم. أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد حلال الدم، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغتها دعوتهم ولم تُبايع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدين[٤] .

---

(١) مجموعة من الباحثين ، موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، تم تحميله من موقع الدرر السنية، رابط الموقع: https://dorar.net/frq. ، ص١٠٠-١٠٢.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) أحمد سالم، ما بعد السلفية، ص٥١٦.

(٤) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، ص١٠٣.

وقد أكد هؤلاء أن جماعتهم وحدها هي الجماعة المُسلمة فمن لم ينخرط فيها عَدُّوهُ كافرًا، لأن الجماعة هي السلوك الحركي للعقيدة، ومن ثم فهي جزءٌ لا يتجزأ منها -أي العقيدة- [١] .

وضمن سياق التكفير الذي رموا به الجميع دون سواهم، أقروا بأن التغيير والإصلاح لا يحدث إلا بالعنف المُسلح في كثير من الأحيان فذهبوا إلى أنه يجب السعي في تحطيم المجتمع الكافر، أما محاولة الإصلاح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا مكان لها في هذه المجتمعات، إذ إنها تتضمن الشهادة لهذه المجتمعات بالإيمان، ومن ثم عدوا تخريب المجتمع وتقويض دعائمه من الواجبات الشرعية لأنه مجتمع جاهلي ينبغي أن يُحطم[٢] .

٢ـ التنظيم الجهادي المسمى بالسلفية الجهادية:

شهدت أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات صعود تنظيمات جهادية أبرزها جماعة تنظيم الجهاد بزعامة محمد عبد السلام فرج الذي وضع كتابًا يُعد الأشهر بين الكتابات الجهادية هو الفريضة الغائبة، ويعدُّ هذا الكتاب بمكانة الأساس الفكري الأول والمرجع الرئيس للجماعات الجهادية، إذ كان تيار الجهاد قبل كتاب محمد عبد السلام فرج يعتمد في تأصيل أفكاره على الكلام الشفهي الذي يتناقله أعضاء الجهاد بعضهم من بعض مع الاستعانة بأجزاء من كتب فقه وتفسير سيد قطب لآيات الحكم والسياسة مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إن الحكم إلا لله﴾ ، فكان أعضاء الجهاد يقومون من حين لآخر بتصوير أو طباعة كميات من هذه الأجزاء التي يحتاجونها من كتب سيد قطب ، للاستدلال على أفكارهم ثم يُوزعونها، إلى أن جاء محمد عبد السلام فجمع كل أفكار الجهاد الشفهية وضم إليها كل أقوال العلماء التي يستدل بها الجهاديون وصاغها صياغة متكاملة نسبيًا بمقاييس الفكر الجهادي في ذلك الوقت[٣] . ونقل عن ابن تيمية فتوى محرفة عن الأصل في أهل ماردين [٤]، واتخذها أصلا لشرعنة أفكاره وأفعال جماعته الإرهابية إلى جانب رؤية قطب الجهادية.

---

(١) أحمد محمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ الإسلام الخوارج والشيعة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٨٦، ص٨١.

(٢) المرجع السابق ، ص٨١.

(٣) أحمد سالم، ما بعد السلفية، ص٥١٦.

(٤)(تجدر الإشارة هنا إلى أنه منذ سبعة قرون أصدر ابن تيمية فتوى خاصة إلى مدينة ماردين واشتهرت هذه الفتوى عنه بالفتوى المارديـنية وخلاصتها أنها فكرة افتراضية تتعلق بشأن وجود دار مشترك أو مختلط لا يسري عليها تعريف دار الإسلام أو دار الكفر. لأن ماردين كان أهلها مسلمين، واستولى عليها وحكمها بالغلبة التتار الذين كانوا على غير الإسلام وبغوا فيها بأعظم أنواع البغي والفجور، والذي أدى إلى هذا الاختلال هو عدم الوقوف والاستخدام للمنهج العلمي في كيفية توثيق النصوص وفهمها لدى علماء المسلمين، حيث انتقى هؤلاء الأحَداث وغير المتخصصين هذه الفتوى بشكل مُحرف، ليبرروا بذلك أعمال القتل والعنف والتخريب وترويع الآمنين من المسلمين وغير المسلمين تحت مسمى الجهاد. ===

كانت جماعة الجهاد في البداءة مهيأين لشن الجهاد ضد (أقرب عدو) وهو الأنظمة المحلية والتي وصفوها بالكفر، وبخاصة في مصر، وذلك قبل التوجه إلى الجهاد في العالم الخارجي ضد (العدو البعيد) وبخاصة إسرائيل والغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة[1].

وما يميز هذه الفئة الجهادية عن غيرها، ليس إعلانها جاهلية المجتمعات المعاصرة كلها، وليس إعلانها كُفرانيه النظم التي لا تحكم بما أنزل الله، بل إعلانها

=== وتعتبر فتوى ماردين من الفتاوى التي التبس فيها فهم وصورة ابن تيمية بسبب خطأ النقل عنه وله، ويوصف بسببها أحيانًا أنه مصدِّر ومنظِّر الإرهاب الأول، استنادًا إلى ما تتناقله هذه الجماعات التكفيرية، وأخطاؤهم متوالية في النقل والفهم معًا، كان أولها ما كان من اعتمادهم الرئيسي فتواه في أهل ماردين التي بنوا عليها بواكير تنظيماتهم، وهم نقلوها خطأً عن طبعتها التي نشرها فرج الله الكردي سنة ١٩٠٧ دون تحقيق أصلها في المخطوطة الوحيدة لها، ودون الرجوع إلى نقل تلميذه ابن مفلح لها في الآداب الشرعية.

وقد وقع التصحيف في لفظة (ويعامل) واستبدالها بلفظة (ويقاتل) قبل مائة عام تقريبًا في طبعة الفتاوى الكبرى لابن تيمية التي أخرجها فرج الله الكردي عام ١٣٢٧هـ، ثم تابعه على ذلك الشيخ عبد الرحمن القاسم. وأصبح هذا النص هو المشهور والمتداول لشهرة طبعته، لتصبح "ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه.

ويعد جواب ابن تيمية على هذه الفتوى من أهم ما يستند إليه خوارج العصر، حيث وقع اختلال في فهم هذه الفتوى وتعلقوا بها دون فهم فحوى هذه الفتوى ومعناها والسياق الذي قيلت فيه، "وجعلوها مسوغا لهم عند قتال الباغين والخارجين عن شرع الله، اعتمادًا على فتوى التتر التي لم ينتبهوا لوصف الدار المركبة فيها، ولم يحققوا محل الفتوى فيها، ولا موقف ابن تيمية في الفتاوى الماردينية الأخرى.

ولهذا اللغط عقد مؤتمر ماردين في مدينة ماردين بتركيا في مارس سنة ٢٠١٠، بحضور عدد كبير من العلماء والفقهاء حول العالم لمناقشة وتحقيق هذه الفتوى وإثبات أنه قد تم تحريف نصها وتزييف فهمها في آن واحد، وهو ما أكدته دار الإفتاء المصرية بعد سنتين من التصحيف في لفظة (ويعامل).

وسأذكر ما توصل إليه هذا المؤتمر وما توصلت إليه دار الإفتاء المصرية من خلال الآتي:

أ-أن نص الفتوى المثبت في النسخة المخطوطة الوحيدة الموجودة في المكتبة الظاهرية برقم (٢٧٥٧) في مكتبة الأسد بدمشق، هو ...ويعامل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه.

ب-وأن ابن مفلح الحنبلي نقلها على الصواب (ويعامل) وهو تلميذ ابن تيمية وقريب عهد منه.

ج-ونقلت في الدرر السنية في الأجوبة النجدية" على الصواب ويعامل.

د-ونقلها أيضًا الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار على الصواب ويعامل.

وقد بدأ هذا التحريف من طبعة فرج الله الكردي في القرن الماضي، ومن هنا انتقل التحريف إلى طبعة الشيخ عبد الرحمن القاسم واشتهر النص هكذا "... ويقاتل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه". وأدى غياب التوثيق لهذه الفتوى إلى تحريفها بشكل أهدر كثيرًا من دماء المسلمين وغيرهم، بل وأضر بمقاصد الشريعة وأهدافها، وتسبب في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ووصمهما بالتطرف والعنف والإرهاب وبخاصة وأن ترجمة الفتوى إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية قد اعتمدت النص المُصَحَّف). للمزيد حول هذه الفتوى ينظر: الرملي، فتاوى الرملي، ج٤، جمعها، ابنه، شمس الدين الرملي، الناشر، المكتبة الإسلامية، بدون رقم الطبعة، ٢٠١٧م، ص٥٢. وأيضًا: عبد الرحمن ابن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج ٩، كتاب الجهاد، فصل في قتال من ترك التوحيد، ط٦، بدون سنة نشر، ص٢٤٨). وكذلك: محمد رشيد رضا، مجلة المنار، العدد ٢، ربيع الآخر ١٣٥٤هـ – تموز/يوليو ١٩٣٥م. وأيضًا: هاني نسيرة، متاهة الحاكمية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٥م، ص٥٣. والدكتور علي جمعة، مقال بعنوان فتوى ابن تيمية في أهل ماردين، موقع دار الإفتاء المصرية، تاريخ الفتوى، ١٤ أغسطس ٢٠١١ رقم الفتوى، ٢٤٢٥، رابط الموقع: https://www.dar-alifta.org/ar/fatawa/

(١) مجموعة مؤلفين، إشكالية الدولة والإسلام السياسي قبل وبعد ثورات الربيع العربي، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا، ص١٧

الصريح أن الجهاد المسلح هو السبيل الوحيد للتغيير، وتراهُ السبيل الوحيد كذلك لإقامة الخلافة الإسلامية، ومن ثم ترفض الدخول في البرلمانات أو التربية والتثقيف. فصنفوا البلاد الإسلامية على أنها ديار كفر أو ديار مختلطة يستحق حُكامها إعلان الحَرب عليهم، بل وحتى لو لم يكفروا، فقتالهم حينها هو قتالٌ للطائفة الممتنعة لا يشترط وقوعها في الكفر(١).

وقد ارتكز الكتاب على عدة نقاط أهمها: إن الدولة تحكم بأحكام الكفر. وأن حكام المسلمين اليوم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء. وأن هدف الجماعة هو إقامة الدولة الإسلامية، لإعادة الإسلام إلى هذه الأمة. وسبيل ذلك هو "السيف"، والأولوية في الجهاد والقتال ضد الحكام الكفرة الذين هم العدو القريب، ومن هنا تكون الانطلاقة(٢).

وكان اغتيال هذه الجماعات للرئيس "محمد أنور السادات البداءة التي بلغت الذروة لظاهرة العنف الديني التي استمرت قرابة العشرين عامًا، التي لا تزال منطلقاتها وأدبياتها تجتذب إلى هذا الطريق جماعات جديدة من الشباب، بل لا تزال فاعلة في عديدٍ من ديار الإسلام(٣).

٣-تنظيم القاعدة:

لم يتبلور التنظيم الجهادي تبلورًا كاملًا إلا مع تأسيس تنظيم القاعدة، إلى الحد الذي وحَّد -داعية من دعاة الجماعات الجهادية- بين مفهوم السلفية الجهادية وتنظيم القاعدة قائلًا: خرجت الجماعات السلفية الجهادية لتُصحح المسار ولتُنهض الأمة من غفلتها ولترفع راية جهاد سني سلفي خالٍ من شوائب الشرك والبدع، ويضيف مؤكدًا هذا التماهي بين السلفية الجهادية والقاعدة في عرف أصحابها: أضحت العدو الأول الذي أثخن في أعداء الله من قوى الكفر والظلام ودك عروشهم في عقر ديارهم، وبات مجرد ذكر أي جماعة من تلك الجماعات سببًا لرعب عظيم وخوف كبير واتخاذ لإجراءات أمنية مشددة وتضييق على شعوبهم، وقلب حياتهم إلى جحيم حقيقي(٤).

يرى أبو هنية أن التأسيس النظري والعملي لفكرة الجهاد الدفاعي كان نقلة مهمة في اتجاه الجهاد المعولم الذي صبغ السنوات الأخيرة من القرن العشرين ومطلع القرن الحالي، ويوضح أن توجه ابن لادن، ومن خلفه تنظيم القاعدة نحو عولمة

(١) أحمد سالم، ما بعد السلفية، ص٥١٥.
(٢) محمد عبد السلام فرج، الفريضة الغائبة، نقلًا عن د. محمد عمارة، الفريضة الغائبة، جذور وحوارات.. دراسات، ص١٥
(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة.
(٤) أبو الفضل العراقي ، التوحيد والجهاد ، مقال ضمن كتاب الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج٢، مجموعة مؤلفين، إشراف ، عبد الغني عماد، مركز دارسات الوَحْدة العربية، بيروت، ط١، ص١٢١٥.

الجهاد، جاء نتيجةَ فشل التجارب الجهادية المحلية والتضامنية، إضافة إلى ذلك أدى تزايد الحضور العسكري الأمريكي المباشر في منطقة الخليج العربي، بعد أن اجتاح نظام صدام حسين الكويت عام ١٩٩٠، إلى اشتداد العداء للولايات المتحدة وللأنظمة المحلية التي استدعت ذلك الحضور(١).

وضمن هذا السياق سوف ينتقل ابن لادن من صاحب مشروع جهادي محدود إلى زعيم لتنظيم جهادي عالمي، ومن معارض لَيِّن بالنصيحة والمذكرات والرسائل للحكومة السعودية ولهيئة علماء المسلمين، إلى معارض شديد وصعب المراس يصبُّ جامَ غضبه على السلطة وهيئة العلماء بحملات إعلامية نشطة ومكثفة، ومن معارض للوجود الأمريكي ونازع للشرعية السياسية والدينية عنه، إلى مقاومٍ بالفقه الشرعي وبالسلاح للولايات المتحدة الأمريكية في الجزيرة وفي شتى بقاع الأرض، وتبعًا لذلك كان ينبغي التوقف عن المشاريع المحدودة، وأن يجري الاستحضار الشرعي للقضية الفلسطينية برمتها باستخدام الرابط الطبيعي بين ما يراه عدوانًا أمريكيًّا على المسلمين في العالم وعدوانًا إسرائيليًا صهيونيًا على المسلمين في فلسطين، ومن ثم إضافة المسجد الأقصى إلى قضية الحرمين الشريفين(٢).

وباستخدام نمط الإسلام الشمولي والعالمي أعلن أسامة بن لادن قيام الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين والأمريكيين، وضم معه عديدًا من القوى الجهادية مثل :الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا بقيادة أبو عبد الله، والجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب بقيادة أبي عبد الله الشريف،وجماعة الجهاد المصرية بقيادة أيمن الظواهري، وتجمع المجاهدين" من الجزائر وتونس والأردن وفلسطين...وانطلاقًا من ذلك فقد شهدت تلك الفترة تحولًا استراتيجيًا في فكر السلفية الجهادية، وهي نشوء النظرية الثانية في الجهاد .فبعد أن كانت نظرية العدو القريب هي السائدة في الفكر الجهادي، بلور أسامة بن لادن ومعه أيمن الظواهري -خصوصًا-نظرية العدو البعيد الذي يجب قتاله، لأن العدو القريب لا قوام له ولا وجود له ولا استمرار إلا بدعم العدو البعيد الذي تُمثله أمريكا وحلفاءها(٣).

ويُعبر ابن لادن عن ذلك قائلًا: "أمريكا وحلفاؤها يذبحوننا في فلسطين وفي الشيشان وكشمير والعراق. وللمسلمين الحق بمهاجمة أمريكا ردًّا على ما تقوم به... وينبغي للشعب الأمريكي أن يتذكر أنه يدفع ضرائبه لحاكمه وينتخبه، وأن حكومته هذه تصنع الأسلحة وتسلمها إلى إسرائيل التي ترجع وتستخدمها لذبح الفلسطينيين، والكونغرس الأمريكي بدوره يوافق على إجراءاتها هذه، مما يثبت أن أمريكا بأسرها مسئولة عن الفظاعات المرتكبة بحق المسلمين(٤).

---

(١) حسن أبو هنية، الجهادية العربية ، اندماج الأبعاد، النكاية والتمكين بين الدولة الإسلامية وقاعدة الجهاد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٨، ص٧٩

(٢) أكرم حجازي، دراسات في السلفية الجهادية، مدارات للأبحاث ، العراق، ط٣ ، ٢٠١٣، ص٥٨

(٣) أحمد سالم، ما بعد السلفية، ص٥٢١

(٤) جيل كيبل، الفتنة حروب في ديار المسلمين، ترجمة ، نزار أورفلي، دار الساقي، لندن، ص١٦٠، ١٦١.

ويُعد كتاب أيمن الظواهري فرسان تحت راية النبي الورقة الأيديولوجية للسلفية الجهادية العالمية الجديدة. فبعد أن قدم عرضًا تاريخيًا موجزًا للجهاد في مصر، يشرح الظواهري الأسباب التي أدت إلى تغيير الإستراتيجية الجهادية من نظرية العدو القريب إلى نظرية العدو البعيد [١].

قدم أبو مُصعب السوري الذي يُعد واحدًا من أكبر مؤرخي التيار الجهادي العالمي، مشروعًا معرفيًّا بعنوان"دعوة المقاومة الإسلامية العالمية" ، تناول فيه أدق تفاصيل التجربة الجهادية على امتداد أربعين عامًا، في الفترة الواقعة بين (١٩٦٠-٢٠٠١) والهدف منه وفق قوله : "إرساء أصول دعوة عمل وجهاد، ويعرفه بقوله: كتاب لدلالة الباحثين عن العمل من أجل أداء الفريضة، والقيام بالواجب في جهاد أعدائنا من الكفار الغزاة وحلفائهم وأوليائهم من المرتدين والمنافقين، ففيه فصول نقدية لمسار الصحوة وتجارب الجهاد عبر العقود المنصرمة، ونصوص شرعية في مسائل الجهاد والتحريض عليه، وفيه خلاصة دروس تجارب جهادية كثيرة عسكرية وسياسية وحركية وأمنية" [٢]، ولعل ما يعنينا بالذكر هنا هو ما تناوله أبو مصعب السوري تحت عنوان مسار التيار الجهادي وتجاربه.

في البداءة يُعرف التيار الجهادي: بأنه "يشمل التنظيمات والجماعات والتَّجمعات والعلماء والمفكرين والرموز والأفراد الذين تبنوا فكرة الجهاد المُسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم العربي والإسلامي، بوصفها تُمثل أنظمةَ حكم مرتدة، بسبب حكمها بغير ما أنزل الله، وتشريعها من دون الله، وولائها لأعداء الأمة من قوى الكفر المختلفة، كما تبنوا منهاج الجهاد المسلح ضد القوى الاستعمارية الهاجمة على بلاد المسلمين معتبرين تلك الأنظمة التي أسقطوا شرعيتها وخرجوا عليها حلفاء محاربين للإسلام والمسلمي[٣] .

وبعد أن يتناول باستفاضة تيار الصحوة الإسلامية وعلى رأسها حركة الإخوان المسلمين، وأهم أدبياتها ومرجعياتها الفكرية، إلى جانب تناول أهم أفكار رواد الفكر الجهادي في العصر الحديث المودودي وسيد قطب، يُقر بأن الفكر الحركي الذي تكون داخل حركة الإخوان المسلمين، ثم تطور واستقل وتميز في الفكر القطبي، وما أضيف إلى هذه المدرسة من كتابات الإخوان المسلمين في السبعينيات من مختلف البلاد، أحد شطري مكونات فكر التيار الجهادي المعاصر، الذي انضم إلى تكوينه مُركب مهم آخر قَدِم من الجزيرة العربية، من بلاد نجد والحجاز[٤]، ويقصد بها السرورية أتباع محمدد بن سرور.

---

(١) أيمن الظواهري ، فرسان تحت راية الإسلام، مطبعة السحاب، باكستان، ط٢، د.ت، ص٤١، ٨٣.

(٢) أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، تحقيق ، أبو العباس القلموني، مكتبة الجيل الثالث، الأردن ، ط١، ٢٠١٨م، ص ١٢.

(٣) المرجع السابق ، ص١٠٦.

(٤) المرجع السابق ، ص١٢٠

فالفكر المودودي، والحركية القطبية ذات الطابع المفصل المتمايز بناء على مبادئ الحاكمية، قد كونَ البُعد السياسي والحركّي في منهج التفكير في التيار الجهادي المعاصر.

يخلص أبو مصعب السوري إلى أن لدستور الجهادية أو وفق تعبيره دعوة المقاوم بقوله: دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ليست حزبًا ولا تنظيمًا ولا جماعة محدودة محددة. فهي دعوة مفتوحة، هدفها هو دفع صائل القوى الاستعمارية الصليبية الصهيونية الهاجمة على الإسلام والمسلمين. ويمكن لأي تنظيم أو جماعة أو فرد اقتنع بمنهجها وأهدافها وطريقتها، الدخول فيها دخولًا مباشرًا أو غير مباشر[١].

وينتهي إلى القول بأن المكسب الأكبر للتيار الجهادي، من تلك التجربة (الأربعين سنة الماضية) هو عولمة التيار الجهادي فكريًّا وحركيًّا... وتبادل الفكر والخبرات، والمعارف بين كوادره من البلاد المختلفة، ثم انتشار ذلك في مختلف أقطار الدنيا، وهو ما تحقق عمليًّا وفعليًّا؛ لا سيمَّا وقد تفرع عن القاعدة -بوصفه تنظيمًا عالميًا عابرًا للقارات- معظم الحركات والجماعات الجهادية، وعلى الرغم من صعوبة رصد مثل هذه الجماعات إلا أنه يمكن الإشارة إلى بعض من أبرزها مثل تنظيم الجماعة الإسلامية في إندونيسيا الذي يُنسب إلى أحد أعضائها تفجيرات بالي، وتنظيم جيش عدن أبين الذي بايع ابن لادن على الولاية عام ١٩٩٨، وينسب إليه تفجيراتُ المدمرة الأمريكية كول عام ٢٠٠٠، والجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر، والجماعة الإسلامية المقاتلة الليبية، وتنظيم جماعة أنصار الإسلام في كردستان العراق، وحركة الشباب المجاهدين التي انبثقت من رحم ميليشيات المحاكم الإسلامية في الصومال، وأخيرًا قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين[٢]. الذي تطور لاحقًا وعرف باسم الدولة الإسلامية في العرق والشام -داعش- وكان هذا الأخير هو الفصيل الأهم، والأكثر شراسة وتأثيرًا في الساحة الجهادية .

ونخلص إذا إلى تحديد البنية الفكرية للتيارات والتنظيمات الجهادية المعاصر بأنها نتاج الفكر القطبي ورؤيته الغير منضبطة للجهاد الذي كان له تأثير على تنظيم الجهاد والتكفير والهجرة وتنظيم القاعدة، فهذه الجماعات ، التي حملت السلاح ، ومارست الإرهاب وتنظّيراتهم التي انبني عليها منهجهم الحركي ، هو في الأساس مستمد من فكر سيد قطب . وما زال هذا الفكر معينًا لا ينضب، تغترف منه هذه الجماعات، ما شاء لهم الإغتراف، عن قناعة ويقين، وامتد بتنظيره إلى المستوي الأعلي، وهو التطبيق الحركي، لمتطلبات هذا الفكر.

رابعاً/ أثر تنظيرات قطب على الثورة الإيرانية:

على الصعيد الآخر، ورغم الخلاف المذهبي الكبير، لا يخفى أثر قطب الهائل في التنظير للثورة الإسلامية على الثورة الإيرانية، وقد قامت الجمهورية الإيرانية

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة
(٢) أكرم حجازي، دراسات في السلفية الجهادية، ص٦٣.

بطباعة صورته على طابع بريدي عرفانًا بدوره [١]. والمثال الرابع من مصر، فقد مثلت لحظة إعدام قطب شرارة تأسيس المجموعات الجهادية المصرية وهي مجموعات ذات طابع ومنهج سلفي، تلك المجموعات (على تنوعها) استهدفت رؤوس النظام المصري على مدار عقود وتمحورت خطة التغيير عندها على القيام بانقلاب عسكري عبر عناصرها داخل الجيش [٢]. وبقطع النظر عن تمسك هذه الحركات والمجموعات وغيرها باستراتيجية وتكتيكات ونهج قطب فمما لا شك فيه أن كتاباته في ما يخص اللاهوت السياسي والثورة الإسلامية ألهمتهم. وخلاصة استراتيجية وتكتيكات قطب التغييرية (فيما يخص العمل الجهادي المسلح) كما نقلها عنه عبد المجيد الشاذلي أحد أهم الشخصيات الفكرية والحركية المنتسبة لاتجاه قطب [٣]. قال قطب للشاذلي وغيره وهم في ساحة المحكمة سويًا: "لا تستخدموا السلاح أبدًا إلا وأنتم متوجهين لإقامة ثورة شعبية. ولابد من الاستعانة بعسكريين وعدم الاقتصار على المدنيين"[٤]، وهناك حالة أخرى لاستخدام السلاح نقلها الشاذلي عن قطب وهي حالة مقاومة الاحتلال. وبعد أربعة عقود ونصف تقريبًا على إعدام واستشهاد قطب في ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م، انفجرت الثورات العربية بعد انسداد جميع أفق الإصلاح في شتى المجالات. بالتأكيد، فإنه لا يوجد رابط مباشر بين بدايتها وأهدافها وبين تنظيرات قطب [٥]. ولكنّ في نفس الوقت، فإن أثر أفكار قطب على الكثير من الحركات الإسلامية الثورية لا يمكن إنكاره -كما أوضحنا-.

على كل حال، فإن التغيرات الإجتماعية السياسية الجذرية المصاحبة للثورات العربية وإظهارها لمدى توحش الطغيان السياسي الداخلي وتناغم أهدافه وأساليبه مع الاحتلالات الخارجية قد يفتح الباب لتزاوج جديد بين أفكار قطب فيما يخص مفهوم الجهاد الثوري وبين طيف واسع من المدارس والتيارات والنخب والحركات الإسلامية المتطرفة.

هذا هو المعيار الذي ينبغي أن يُفسَّر به فكر سيد قطب، ويفهم مقاصده وأهدافه. ذلك الفكر الذي تربَّت عليه قوافل الثورة والعنف والتطرف والإرهاب والتكفير والتفجير والعمليات الانتحارية، فكانت القاعدة وداعش ودعاة الخراب العربي، وكان ما كان.

---

(1) John Calvert, "origins of Islamic radicalism",p. 4.

(٢) أحمد مولانا ، الحركات الجهادية المصرية- حدود الدور، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، اسطنبول ، ٢٦ يوليو ٢٠١٧م، ص ٢، ٩.

(٣) بل يعتبره البعض المؤصل الفقهي والشرعي لفكر وأدبيات قطب.

(٤) عبد المجيد الشاذلي، الأصول الشرعية للرؤية السياسية المعاصرة، مقطع مرئي، الدقيقة الثامنة والثلاثون، ٢٢ يوليو ٢٠١٧م، رابط المقطع: https://www.youtube.com/.

(٥) المرجع نفسه.

الخاتمة:

بعد هذا البحث لرؤية سيد قطب للجهاد وأثرها على خوارج العصر، نستطيع القول بأننا قد توصلنا إلى عدة نتائج على النحو التالي:

أولًا / حظي الجهاد في سبيل الله بمكانة خاصة وأهمية بالغة عند سيد قطب، حتى كاد يعدّه ركنًا سادسًا من أركان الإسلام. وقد اختلفت رؤيته للجهاد عن رؤية علماء الإسلام، إذ جاء فهمه غير منضبط، مخالفًا لصحيح الدين. فقد انطلق من مفهوم الحاكمية التي اتسمت بالحكم الواقع على الناس بالإسلام أو الكفر، ومقاتلة من لا يؤمن بما آمنوا به. وقد تأثر في ذلك بفكر أبي الأعلى المودودي.

ثانيًا/ انتقلت مشروعية الجهاد عند سيد قطب، مع تفسيره السياسي للإسلام، من كونه فرض كفاية إلى فرض عين، معتبرًا إهماله تفريطًا في ركن من أركان الدين، دون التمييز بين جهاد الدفع وجهاد الطلب. وقد حصر قطب مفهوم الجهاد في القتال، وهذا خطأ، إذ إن القتال ليس إلا أحد أنواع الجهاد، وليس صورته الوحيدة، كما أن الجهاد يكون مع ولي الأمر، لا ضدّه.

ثالثًا/ فشل سيد قطب في تقديم مضمون فكري حقيقي للفكر السياسي الإسلامي الذي يمكن أن يستفيد منه المسلمون في تطوير الحالة الفكرية للمجتمعات الإسلامية، والتي تتجسد في الدولة الإسلامية. ولم تكن أفكاره مجرد اجتهادات شخصية أو آراء مستقلة، بل كانت امتدادًا لفكرين تأثر بهما بشدة نتيجة إعجابه العميق بهما، وهما: حسن البنا وأبو الأعلى المودودي.

رابعًا/ تميزت أفكار سيد قطب، التي تأثر فيها بالمودودي، بالتعميم، خاصة فيما يتعلق بمفاهيم الحكومة الإسلامية والجهاد والجاهلية. فلم يقتصر هذا التعميم على المجتمع الذي يعيش فيه أو على الدول الإسلامية فحسب، بل امتدت دعوته لتشمل العالم بأسره. ولهذا لم يميز بين أنواع الجهاد وشروطه، بل دعا إلى الجهاد بإطلاق، واعتبره جهادًا عالميًّا مسلحًا، إذ رأى أن كل أمة تُعدّ جاهلية ما دامت لا تطبق شرع الله.

خامسًا/ تأسس التصور القطبي على فهم سياسي للدين، تندمج فيه مفاهيم الثورة والانقلاب. وقد حوله سيد قطب إلى مشروع راديكالي يهدف إلى تغيير العالم، فجعل من كل مسلم انقلابيًا، باعتباره مجاهدًا بالضرورة، لذلك سعى إلى استخدام جميع الوسائل والقوى الممكنة لإحداث ثورة عالمية شاملة، تحقق رؤيته لعالم إسلامي وتؤدي إلى تأسيس ما سماه (بالمدينة الإلهية).

سادسًا/ لم يكن لابن تيمية تأثير على رموز خوارج العصر، مثل المودودي، والبنا، وقطب، وخاصة سيد قطب، إذ لم يرد ذكره في كتبه أو خطاباته. وقد تأثر قطب بحسن البنا في فكرة إعادة الخلافة، وبأبي الأعلى المودودي في مفهوم الحاكمية والحكم على المجتمعات بالجاهلية، وهو مفهوم متجذر في فكر الخوارج الأوائل، الذين عانت الأمة الإسلامية من أفكارهم قديمًا.

سابعًا/ تبين بعد التحقيق أن فتوى ابن تيمية في أهل ماردين، التي تستند إليها الجماعات الجهادية وتستخدمها كمبرر لأفعالها الإرهابية، قد تعرضت للتحريف والتصحيف، مما أدى إلى تزييف معناها وسوء فهمها. وقد أكدت دار الإفتاء المصرية ذلك، إذ كشفت عن وقوع تصحيف في لفظة (ويعامل) بعد عامين من تحريفها. وبناءً على ذلك، فلا يمكن الاعتماد على هذه الفتوى كمبرر لارتكاب الأعمال الإرهابية والإجرامية من قبل الجماعات التكفيرية الجهادية.

ثامنًا/ أسس قطب الطليعة الإسلامية، حيث يرى أن المجتمع الإسلامي الحقيقي قد اندثر، وأن المجتمعات المعاصرة تعيش في جاهلية حديثة، شبيهة بجاهلية ما قبل الإسلام. حيث شدد على دور هذه الطليعة في التغيير الجذري للمجتمع.

تاسعًا/ تُعدّ أفكار سيد قطب، إلى جانب أفكار أبي الأعلى المودودي، الأساس الفكري الذي لبّى حاجة التنظيمات المسلحة، ومكّنها من تبني نظرية تتحرك وفقها. وقد تجسد ذلك من خلال عدد من المفاهيم التي شكّلت الركيزة الأساسية لهذه التنظيمات، مثل الحاكمية، والجاهلية، والعزلة الشعورية، والعصبة المؤمنة، وأحكام الردة، والتكفير. وهي المفاهيم التي أرست دعائم هذه التنظيمات ومهدت لها الطريق.

عاشرًا/ أثّرت كتابات سيد قطب على البيئة السياسية والفكرية والحركية، سواء في حياته أو بعد وفاته، حيث تجاوز تأثيرها مرحلة التنظير إلى مرحلة الممارسة. وقد تجسد هذا التأثير في ظهور جماعات إسلامية متعددة، ادّعت تبنّي ما أسمته (المنهج الحركي لقطب) وتطبيقه من خلال تنظيمات جهادية، وحركات إسلامية ذات طابع قُطري وعالمي. كما كان لهذه الأفكار تأثير واضح على مجريات السياسات الدولية.

حادي عشر/ انتهت المطاف بأفكار سيد قطب إلى فتح باب التشريع للقتال واستخدام العنف داخل المجتمعات الإسلامية. فقد اكتسبت نظريته عن الحاكمية، التي استمدها من أبي الأعلى المودودي، بُعدًا تكفيريًا حادًا. ونتيجة لذلك، تبنّت معظم التيارات الإسلامية الحركية مفهومهما للمجتمع الجاهلي والحاكمية الإلهية، وأضافت إليه، وعمّقت أبعاده، وأكسبته طابعًا جهاديًّا.

ثانيا عشر/ كان إعدام سيد قطب يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٦م، بمثابة إعلان ميلاد التنظيمات التكفيرية التي ترفع شعار الجهاد التي تثير الفوضى والجدل، وبهذا الإعدام أصبح سيد قطب بمثابة الأب الشرعي الذي تستمد منه هذه التنظيمات مصوغاتها الشرعية في التكفير ومواجهة الأنظمة الحاكمة.

ثالث عشر/ لعب الخطاب القُطبي دورًا محوريا وسط التيارات الإسلامية، فتأثرت به العديد من الجماعات والتنظيمات التي تبنت كثيرًا من مضامين هذه الرؤية ورأت أن الإسلام دعوةٌ متجاوزة للقوميات والعرقيات، والواجب يقتضي محاربتها، رافعة شعار الدولة الإسلامية، ومن هذه الجماعات والتنظيمات جماعة الجهاد وجماعة التكفير والهجرة وتنظيم القاعدة وتنظيم داعش... وغيرها من الجماعات الجانحة.

وأخيرًا/ تبين لنا من هذا البحث أن التيارات الجهادية المعاصرة استمدت بنيتها الفكرية من منهج سيد قطب، الذي قدّم رؤية غير منضبطة للجهاد، مما أثر بشكل مباشر على جماعات مثل الجهاد، والتكفير والهجرة، والقاعدة. وقد استندت هذه التنظيمات في ممارساتها العنيفة إلى هذا الفكر، الذي لا يزال يغذيها نظريًا وعمليًا، في سعيها لترجمته إلى واقع.

تلك هي أهم النتائج التي توصلنا إليها من بحثنا هذا، وإنا لنرجو من الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا في هذا البحث، وأن يكون اضافة للدراسات الفلسفية الإسلامية، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المصادر والمراجع:

أولًا/ المصادر والمراجع العربية:

١ـ ابن الأثير (مجد الدين أبي السعادات المبارك الجزري): النهاية في غرِيب الحديث والأثر، باب الجيم مع الهاء، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة الإسلامية، ط٥، ١٩٩٩م.
٢ـ ابن السكيت (يوسف يعقوب بن إسحاق): إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.
٣ـ ابن الهاشمي: الداعية زينب الغزالي مسيرة جهاد وحديث من الذكريات، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٩٨٩م.
٤ـ ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم): الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: تحقيق الدكتور علي بن حسن العسيري، مطبعة المدني -القاهرة ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م.
٥ـ ـــــــــــــ: الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله الحلواني، محمد كبير شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط٣، ١٤١٧هـ.
٦ـ ـــــــــــــ: مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ط١، ٢٠٠٤ م.
٧ـ ابن قاسم (عبد الرحمن): الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ج٩، كتاب الجهاد، فصل في قتال من ترك التوحيد، ط٦، بدون سنة نشر.
٨ـ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل): البداية والنهاية، دار الفكر، ١٩٨٦م.
٩ـ ـــــــــــــ: تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
١٠ـ ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر،بيروت ،ط ١، ١٩٩٠.
١١ـ أبو الحسين (أحمد بن فارس): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
١٢ـ أبو الوليد (ابن رشد الجد): المقدمات الممهدات، ج١، تحقيق د/محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨.
١٣ـ أبو داود (أبو داود سليمان بن الأشعث): سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٧م.
١٤ـ أبو عجيلة (محمود): القتال مرهون بأمرين: حماية ثورة شعبية أو مقاومة محتل"، كتاب أونلاين بموقع الشيخ عبد المجيد الشاذلي، ٤ يونيو ٢٠١٥م.
١٥ـ أبو هنية (حسن): الجهادية العربية: اندماج الأبعاد، النكاية والتمكين بين الدولة الإسلامية وقاعدة الجهاد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٨.

١٦ـ أبو يعلى (القاضي محمد بن الحسين): الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط٢، ٢٠٠٠ م.
١٧ـ أبوزيد (نصر حامد): نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٨ـ أبي جعفر الطحاوي (أحمد بن محمّد ابن سلامة الأزدي): مشكل الآثار، دار حيدر آباد، ط١، ١٣٣٣هـ.
١٩ـ أحمد (عبد العاطي محمد): الحركات الإسلامية في مصر وقضايا التحول الديمقراطي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
٢٠ـ الأصفهاني (أبو القاسم الراغب): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢ هـ.
٢١ـ البخاري (أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم): الجامع المسند الصحيح= صحيح البخاري، تحقيق جماعة من العلماء، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٢ـ البشري (طارق): الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي ، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.
٢٣ـ البعلي (علاء الدين): الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة الرياض الحديثة، ط١، ١٩٧٦م.
٢٤ـ البنا (حسن عبد الرحمن): مجموعة رسائل الإمام حسن البنا-مذكرات الدعوة والداعية، مكتبة آفاق للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ٢٠١١م.
٢٥ـ البهوتي (منصور بن يونس بن إدريس): شرح منتهى الإرادات -المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٣م.
٢٦ـ الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة): الجامع الكبير = سنن الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.
٢٧ـ الجويني (أبو المعالي): غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: عبد العظيم الديب، مكتبة إمام الحرمين، ط٢، ١٤٠١هـ.
٢٨ـ الحجاوي (المقدسي): الإقناع لطالب الانتفاع، تحقيق، د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، مصر، ط:١، ١٤١٨ هـ.
٢٩ـ الخالدي (صلاح عبد الفتاح): في ظلال القرآن في الميزان، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٠م.
٣٠ـ الخرقي (أبو القاسم عمر بن الحسين): متن الخرقي على مذهب ابي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، ج٣، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.
٣١ـ الخطابي (أبي سليمان): معالم السنن، تحقيق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

٣٢ـ الرازي (فخر الدين): مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، ج٧، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ، ص١٥.
٣٣ـ الرملي (شمس الدين): فتاوى الرملي، ج٤، جمعها: ابنه، شمس الدين الرملي، الناشر: المكتبة الإسلامية، ٢٠١٧م.
٣٤ـ الزحيلي (وهبة): آثار الحرب في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٩٩٨.
٣٥ـ الزركشي (شمس الدين محمد بن عبد الله): شرح الزركشي على مختصر الخرقي، دار العبيكان، ط١، ١٤١٣ هـ -١٩٩٣م.
٣٦ـ السوري (أبو مصعب): دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، تحقيق: أبو العباس القلموني، مكتبة الجيل الثالث، الأردن، ط١، ٢٠١٨م.
٣٧ـ الشاطبي (أبو إسحاق): الموافقات، ج٢، تحقيق مشهور بن حسن، تقديم: بكر أبو زيد، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م.
٣٨ـ الطحاوي (أبو جعفر): مشكل الآثار، ج٥، دار حيدر آباد، ط١، ١٣٣٣هـ.
٣٩ـ الظواهري (أيمن): فرسان تحت راية الإسلام، مطبعة السحاب، باكستان، ط٢، بدون تاريخ.
٤٠ـ العالم (يوسف): المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٤١ـ العراقي (أبو الفضل): التوحيد والجهاد، نقلًا عن كتاب الحركات الإسلامية في الوطن العربي، ج٢، مجموعة مؤلفين، إشراف: عبد الغني عماد، مركز دارسات الوَحْدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
٤٢ـ العسقلاني (ابن حجر): فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٢، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩.
٤٣ـ الغزالي (زينب): أيام من حياتي، دار الشروق، مصر ،١٩٨٢م.
٤٤ـ الفتوحي (تقي الدين أبو البقاء): منتهى الإرادات= مع حاشية النجدي، تحقيق، د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:١، ١٤١٩ هـ.
٤٥ـ القرطبي (أبو العباس): المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق سوريا، ط١، ١٩٩٦م.
٤٦ـ القسطلاني (ابن حجر): إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، دار الكتاب العربي بيروت، ١٤٠٤هـ.
٤٧ـ الكاساني (ابن مسعود): بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج٧، مطبعة الجمالية، مصر، ط١، ١٣٢٧ -١٣٢٨ هـ.
٤٨ـ الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد): الأحكام السلطانية، دار الحديث -القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.

٤٩ـ المرتضى (أحمد بن يحي): كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، مكتبة أهل البيت، دمشق، ط١، ٢٠٢٢ م.
٥٠ـ المقدسي (ابن قدامة): الشرح الكبير على متن المقنع ، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.
٥١ـ ـــــــــــــــ: المغني على مختصر الخرقي، دار الفكر ببيروت، ط١، / ١٩٨٤ م.
٥٢ـ المقري الفيومي (أحمد بن محمد): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٣٩٨ هـ.
٥٣ـ المودودي (أبو الأعلى): الجهاد في سبيل الله، بيروت: مؤسسة الرسالة، طبعة ١٩٧٩م.
٥٤ـ ـــــــــــــــ: المصطلحات الأربعة في القرآن، تقديم: محمد عاصم الحداد، تخريج: محمد ناصر الدين الالباني، دار القلم، الكويت.
٥٥ـ ـــــــــــــــ: تذكرة يا دعاة الإسلام، كتاب منشور أونلاين بدون رقم طبعة وسنة النشر بموقع مكتبة عين الجامعة، رابط الموقع: رشدhttps://ebook.univeyes.com/.
٥٦ـ ـــــــــــــــ: الحكومة الإسلامية، ترجمة: أحمد إدريس، مؤسسة الابرار الثقافية، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.
٥٧ـ ـــــــــــــــ: موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، ترجمة / محمد كاظم، دار الفكر الحديث لبنان، ط٢، ١٩٦٧.
٥٨ـ النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب): سنن النسائي المجتبى، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي ومحمد أنس مصطفى الخن، شارك في التحقيق: محمد معتز كريم الدين، عمار ريحاوي، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط ١، ٢٠١٨م.
٥٩ـ النفراوي (ابن مهنا): الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٦٠ـ بيلامي (كارول): وضع الأطفال في العالم، عدد ممتاز صادر عن قسم الإعلام والعلاقات الخارجية، مكتب اليونيسف الاقليمي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، المطبعة الوطنية، عمان، الاردن، سنة ١٩٩٦.
٦١ـ جلي (أحمد محمد): دراسة عن الفرق في تاريخ الإسلام الخوارج والشيعة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٩٨٦.
٦٢ـ حجازي(أكرم): دراسات في السلفية الجهادية، مدارات للأبحاث والنشر، العراق، ط٣، ٢٠١٣.

٦٣ـ سالم، بسيوني (أحمد، وعمرو): ما بعد السلفية. قراءة نقدية في الخطاب السلفي المعاصر، مركز نماء للبحوث والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٨.
٦٤ـ شحرور (محمد): الدين والسلطة -قراءة سماسرة الحاكمية، بيروت، لبنان، دار الساقي، ٢٠١٥م.
٦٥ـ عبد الجبار (الرفاعي): الدين والظمأ الأنطولوجي، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، ط١، ٢٠١٦م.
٦٦ـ عشماوي (علي): التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، دار الهلال، القاهرة، ط٤، ١٩٩٣م.
٦٧ـ علام (اللواء فؤاد): الإخوان وأنا من المنشية إلى المنصة، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٦م.
٦٨ـ عمارة (د. محمد): الفريضة الغائبة، جذور وحوارات. دراسات. ونصوص، نهضة مصر للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.
٦٩ـ عودة (جهاد): سقوط دولة الإخوان، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.
٧٠ـ قطب (سيد): الإسلام ومعركة الرأسمالية، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م.
٧١ـ ـــــــــــــ: في ظلال القرآن، خرج أحاديثه: علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٦ هـ -١٩٩٥ م.
٧٢ـ ـــــــــــــ: لماذا أعدموني، الشركة السعودية للأبحاث والنشر، الرياض، ط٣، ١٩٩٠م.
٧٣ـ ـــــــــــــ: معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، ط ١٠، ١٤٠٣م.
هذا الدين، دار الشروق-القاهرة، ط ١٥، ١٩١٢م.
٧٤ـ كيبل (جيل): الفتنة حروب في ديار المسلمين، ترجمة: نزار أورفلي، دار الساقي، لندن، ١٩٩٩م.
٧٥ـ مجموعة من الباحثين: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، تم تحميله من موقع الدرر السنية، رابط الموقع: https://dorar.net/frq.
٧٦ـ مجموعة مؤلفين، إشكالية الدولة والإسلام السياسي قبل وبعد ثورات الربيع العربي، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، ألمانيا.
٧٧ـ مسلم بن الحجاج (أبو الحسين): صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط٥، ١٩٥٥ م.

٧٨ـ مولانا (أحمد): الحركات الجهادية المصرية: حدود الدور، (اسطنبول: المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، ٢٦ يوليو ٢٠١٧م).
٧٩ـ نسيرة (هاني): متاهة الحاكمية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.
٨٠ـ نصار (د. عصمت): مراجعات فلسفية في الفكر العربي الحديث، دار النشر نيوبوك، القاهرة، ط١، سنة النشر ٢٠١٨م.

ثانيًا/ المراجع الأجنبية:

(1) Raphael LeFevre, Ashes of Hama, the Muslim brotherhood in Syria. (New York: oxford university press, 2013)
(2) Gilles Kepel, Terreur dans l'Hexagone: Genèse du Djihad Français, Gallimard, Paris, (2016) pp.
(3) Ibrahim M. Abu-Rabi, "Intellectual Origins of Islamic Resurgence in the Modern Arab World", (Albany: State University of New York Press, 1996)
(4) John Calvert, "Sayyid Qutb and origins of Radical Islamism", (oxford: oxford university press, 2013).
(5) William E. Shepard, "Sayyid Qutb's Doctrine of "Jāhiliyya", (International Journal of Middle East Studies 35, no. 4, 2003).

ثالثًا/ المواقع الإلكترونية:

١ـ الشعلة (عبد النبي): مقال بعنوان: الفكر السياسي الإسلامي المعاصر وأبو الأعلى المودودي، موقع البلاد، تاريخ النشر: ٢٧ أكتوبر ٢٠٢١ رابط الموقع: .ruhttps://www.albiladpress.com/news
٢ـ الصنايبي (عبد الحق): مقال بعنوان: العقيدة التكفيرية لسيد قطب: بين الفكر والممارسة، مركز شُرفُات، بتاريخ ٢٤-فبراير-٢٠١٨م، رابط الموقع: .http://www.shorufatcenter.com
٣ـ إيهُوم (رشيد) مقال بعنوان: المودودي مُنظِّر الحاكمية والجاهلية والدولة الإسلامية، موقع مركز المسبار للدراسات والبحوث، بتاريخ١٠ مايو،٢٠١٨م، رابط الموقع: https://www.almesbar.net/ .
٤ـ جمعة (علي): مقال بعنوان فتوى ابن تيمية في أهل ماردين، موقع دار الإفتاء المصرية، تاريخ الفتوى: ١٤ أغسطس ٢٠١١ رقم الفتوى: ٢٤٢٥، رابط الموقع: https://www.dar-alifta.org/ar/fatawa/

٥ـ سالم(زهير): مقال بعنوان/ مشروع الاخوان المسلمين، موقع الإخوان المسلمين بسوريا، نشر بتاريخ: ١ أبريل، ٢٠٢٤ م، رابط الموقع: https://ikhwansyria.com.
٦ـ عقان (محمد): موقع مداريك -مقال بعنوان نموذج الدولة في ايديولوجيا سيد قطب، نشر بتاريخ ٢٠-٢-٢٠١٣م، رابط الموقع http://madareek.com.
٧ـ مجدي (إنجي): مقال بعنوان: كيف أصبح التكفيريون المصريون خزانا بشريا للإرهاب؟، نقلا عن موقعindependentarabia ، تاريخ النشر: الأحد ١٤ أغسطس ٢٠٢٢ ، رابط الموقع:https://www.independentarabia.com/node .